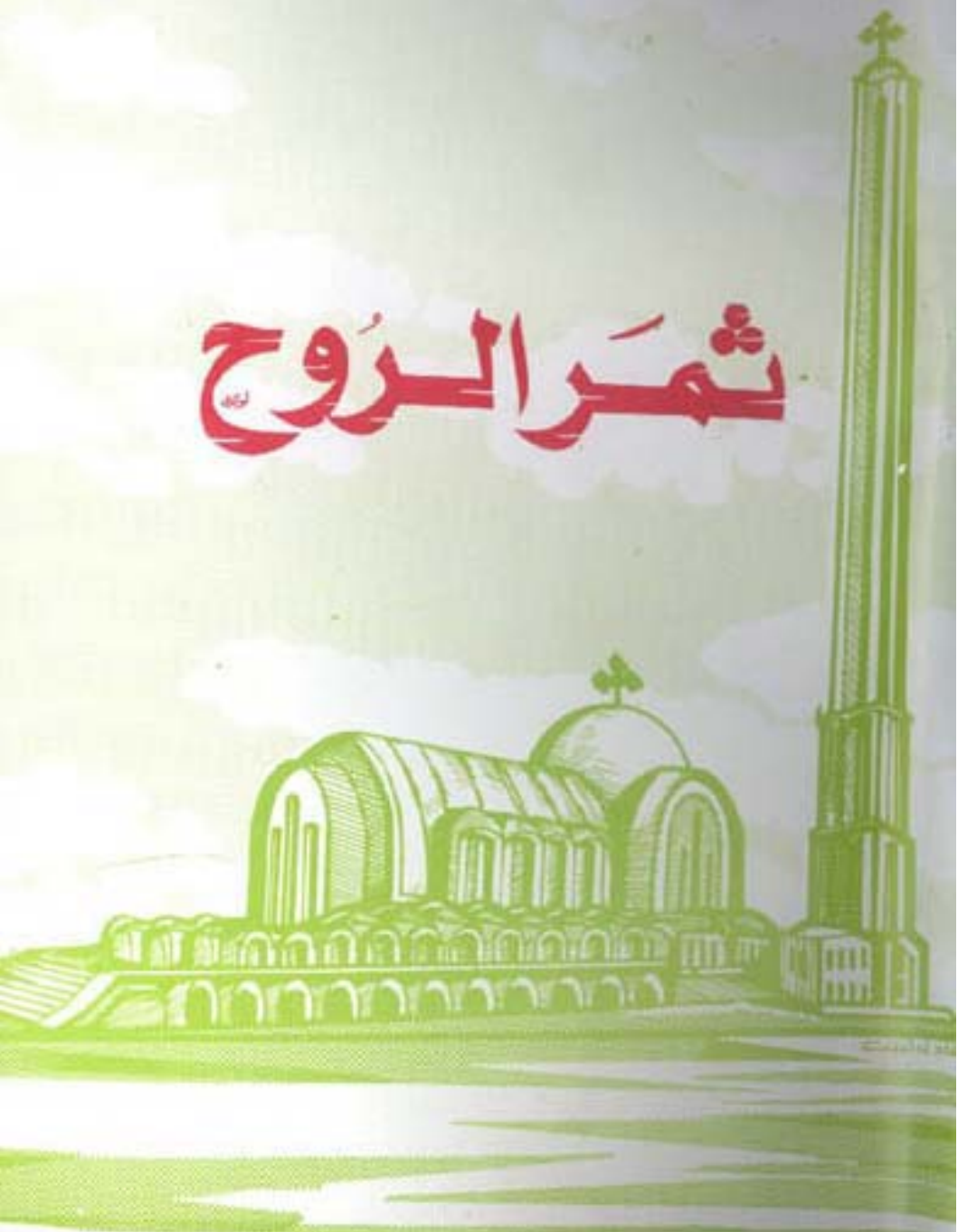


امكتبة القبطية على الانترنت



البيانات والبيانات

ثمر الروح





قَدَامِيَّةُ الْبَنَاتِيَّةِ نُوَكْدَةُ الثَّلَاثِيَّةِ
بِنَا لِهَيْبَةِ الْفَرَاغَةِ وَالْمَرْكَبَةِ وَالْمَرْكَبَةِ (١١٧) بِنِي

مقدمة

لا بد للروح أن يكون لها ثمر فى الإنسان ، لأن السيد الرب يقول "من ثمارهم تعرفونهم" (مت ٨: ٢٠) وأيضاً :

"كل شجرة لا تصنع ثمراً، تقطع وتلقى فى النار" (مت ٧: ١٩) .

والثمر الجيد هو ثمر الروح ، وليس ثمر الجسد .

والروح الإنسانية التى تصنع ثمراً، هى التى تشترك مع الله فى العمل، وتتدخل فى "شركة الروح القدس" (٢كو ١٣: ٤) . وإن اشتركت روح الإنسان مع الروح القدس، سوف تستطيع أن تشترك الجسد معها، وتقوده فى العمل الروحى .

إن ثمر الروح ، هو ثمر الروح التى قادت الجسد . وصارت هى وهو تحت قيادة الروح القدس .

ذلك "لأن كل الذين ينقادون بروح الله، فأولئك هم أبناء الله" (رو ٨: ١٤) .

فهل المقصود بثمر الروح ، هو ثمر الروح الإنسانية ، أم ثمر الروح القدس .

الإجابة هى شركة الروح القدس مع الروح الإنسانية . ذلك لأن الروح الإنسانية وحدها لا تستطيع وحدها أن تعمل شيئاً بدون شركة روح الله معها ...

الإنسان هو هيكل لروح الله ، وروح الله ساكن فيه (١كو ٣: ١٦) (١كو ٦: ١٩) .

روح الله ساكن فى الإنسان ويعمل .

ولكن يلزم إستجابة الإنسان لعمل الروح فيه .

وذلك بأن يشترك مع روح الله فى العمل .

وهنا يأتى ثمر الروح نتيجة لهذه الشركة .. ذلك لأن الله لا يرغم الإنسان على عمل الخير، بل لابد أن يعمل به بإرادته .. وإلا فقد العمل قيمته . ولم تعد له مكافأة .

وقد شرح الرسول ثمر الروح فقال :

"وأما ثمر الروح فهو : محبة فرح سلام ، طول أناة لطف صلاح، إيمان وداعة
تعطف" (غل: ٥ : ٢٢ ، ٢٣) .

ونحن نود فى هذا الكتاب أن نحدثك عن هذا كله ، فى إيجاز وتركيز. لأن كل واحدة
من هذه الثمار التسع، قد تحتاج إلى كتاب خاص . وقد اصدرنا لك كتاباً عن المحبة ،
وآخر عن الإيمان. وكان بودى أن أصدر لك كتاباً عن الوداعة .
ولكن رغبة فى تجميع الأفكار وعدم تشتتها ، نشرنا لك هذا الكتاب عن ثمر الروح
كله معاً.

ونلاحظ أن كل ثمرة يمكن أن تتعلق بغيرها من الثمار . لأن الحياة الروحية مرتبطة
ببعضها البعض فى كل التفاصيل .
أتركك الآن أيها القارئ العزيز لكى تتأمل فى ثمار الروح ، ولكى تجعلها جميعاً ثمرأ
لحياتك مع الله ولعمل الروح فيك .
وليكن الله معك، يعينك فى كل ما تفعله .

البابا شنودة الثالث

٣١ أكتوبر ١٩٩٦

عيد القديس الأنبا رويس



مِنْ ثَمَرِ الرُّوحِ

①

المحيية

أود أن أبدأ معكم سلسلة جديدة عن (ثمار الروح) . هذه التى شرحها الوحي الإلهى على لسان بولس الرسول قاتلاً : "وأما ثمر الروح فهو : محبة ، فرح ، سلام ، طول أناسة ، لطف ، صلاح ، وداعة ، تعفف . ضد أمثال هذه ليس ناموس" (غل ٥ : ٢٢ ، ٢٣) . ويبدو واضحاً من هذه الآية أن المحبة هى أولى ثمار الروح .

فلنتأمل إذن فضيلة المحبة أولى ثمار الروح :

المفروض فى الإنسان أن يكون هيكلًا للروح القدس ، ويكون روح الله ساكناً فيه . ولقد أرسل لنا السيد المسيح الروح القدس ، لكى يسكن فينا إلى الأبد ، ولكى يعمل فينا ويعمل بنا ، ويكون لعمله فينا ثمار ، هى ثمار الروح (١ كو ٣ : ١٦) (يو ١٤ : ١٦ ، ١٧) .

وفى مقدمة ثمار الروح : المحبة والفرح والسلام . ولنبدأ بفضيلة المحبة وعلاقتها بالفرح والسلام .

أهم ما أريد أن أكلّمكم عنه فى المحبة ، هو محبة الله ، ومحبة الخير . وكل منهما تؤدى إلى الأخرى .

محبة الله توصل إلى محبة الخير والفضيلة . ومحبة الخير والفضيلة توصل إلى محبة الله . وكل منهما تقوى الأخرى .

إذا أحب إنسان الخير ، لا يكون له صراع مع الشر .

كثير من الناس يضيعون حياتهم فى الصراع مع الخطية أو فى مقاومة الشيطان ، لكى يصلوا بهذا إلى حياة التوبة . وحياة التوبة هى البعد عن الخطية التى يحبونها .

أما الإنسان الذى يحب الخير ، فقد ارتفع فوق مستوى التوبة ، وفوق مستوى الصراع مع الخطية .

عبارة "الجسد يشتهى ضد الروح ، والروح يشتهى ضد الجسد" ، هى عبارة خاصة بالمبتدئين ، الذين يجاهدون ضد الجسد غير الخاضع للروح . أما الجسد النقى ، البار ، الذى

يحب الخير، فهو لا يشتهي ضد الروح . (غل ٥ : ١٧) .

الإنسان الذي يحب الخير ، لا يجاهد للوصول إلى التوبة، إنما كل جهاده هو للنمو في محبة الله ومحبة الخير .

إنه جهاد إيجابي ، وليس جهاداً سلبياً .. إنه انتقال من درجة في القداسة إلى درجة أعلى منها .

إنه جهاد لذيذ بلا تعب ...

إنما يتعب في جهاده ، الإنسان الذي يقاوم نفسه، نفسه التي لا تحب الفضيلة، بل تحب الظلمة أكثر من النور" (يو ٣ : ١٩) .

أما الذي يحب الخير ، فقد دخل إلى راحة الرب، دخل إلى سبته الذي لا ينتهي، يتدرج فيه من خير إلى خير أكبر، بلا تعب، بلا تغصب .

إن فضيلة "التغصب" ليست للقديسين الذين يحبون الخير، فالذين يحبون الخير، لا يغضبون أنفسهم عليه، بل يفعلونه تلقائياً، بلا مجهود .

الذي يحب الخير ، لا يرى وصية الله ثقيلة، بل يحب ناموس الرب "في ناموس الرب مسرته، وفي ناموسه يلهج نهاراً وليلاً" .

صدق يوحنا الرسول عندما قال "وصاياها ليست ثقيلة" (ايو ٥ : ٣) . إننا نشعر أن وصايا الرب ليست ثقيلة، حينما نحبتها، ونتغنى بها ونقول "وصية الرب مضيئة تثير العينين، فرائض الرب مستقيمة، تفرح القلب" (مز ١٨) .

إن الذي يحب الرب ويحب الفضيلة، قد ارتفع فوق مطالب الناموس، ودخل في الحب. إنه يفعل الخير ، بلا وصية ، بل بطبيعته الخيرة. ليس هو محتاجاً إلى وصية تدعوه إلى الخير .

إنه يفعل الخير ، لأن الخير من مكوناته ، كصورة لله .. يفعل الخير كشئ عادي، طبيعي، كالنفس الذي يتنفسه، دون أن يشعر في داخله أنه يفعل شيئاً زائداً أو عجيباً .

ولهذا فإنه لا يفتخر بالخير ، إذ أنه في نظره شئ طبيعي ...

أما الذي لا يحب الخير ، فإن وصية الله ثقيلة عليه. لذلك فكثيراً ما تكون بينه وبين الله عداوة!! يشعر أن الله يسلبه لذته (الميالة إلى الخطية) . ويشعر أن وصية الله تقيده ، وتحاول أن تسيره في طرق لا يريدتها .. وهكذا يرى أن طريق الله صعب ، وأنه لا

يسير فيه، إلا مضطراً .

من هذا النوع الذى لا يحب الخير، الإنسان الوجودى الملحد، الذى يرى أن وجود الله ، عائق ضد وجوده هو ...

أى أنه لا يشعر بوجوده إذا آمن بوجود الله ، ولذلك يقول "الأفضل أن الله لا يوجد، لكى أوجد أنا" !!

كل ذلك لأنه لا يحب الخير . وعدم محبته للخير أوصلته إلى عدم محبة الله. ولهذا فإن الابن الضال، عندما أراد أن يتمتع بحريته وشخصيته، ترك بيت أبيه..! (لو ١٥ : ١٣) أما الإنسان الذى يحب الخير ، فليست بينه وبين الله عداوة . لأنه يوجد اتفاق بين مشيئته ومشئنة الله .

إنه يحب الله ، ويجد فيه مثالياته العليا، ويحب فيه الخير الذى يشتهيهِ . ويصبح الله شهوته ، وهو لذته .

الإنسان الذى يحب الخير يعيش فى فرح دائم وفى سلام ... وكما يقول الكتاب "افرحوا فى الرب كل حين، وأقول أيضاً افرحوا" . إنه يفرح بالرب، لأنه يجد لذته فى المعيشة معه ، ويجد أن مشيئة الله هى مشيئته، وأن مشيئته هى مشيئة الله .

متى إذن يبدأ الإنسان فى أن يفقد محبة الله ومحبة الخير ؟
لما يبدأ فى معرفة الشر ، وفى مذاقته ، وفى الإلتذاد به .
وهذه هى التجربة التى أوقع فيها الشيطان الإنسان الأول. كان آدم وحواء لا يعرفان إلا الخير ، فأدخلهما فى معرفة الخير والشر . أى أضيفت إلى معرفتهما للخير، معرفة الشر (تك ٣ : ٥) .

بدأ الإنسان يختبر الشر ، وتكون بينه وبين الشر علاقة وعاطفة .
هناك أشياء من الخير للإنسان ألا يعرفها وألا يختبرها . وعن هذه قال الكتاب "الذى يزداد علماً، يزداد غمًا" (جا ١ : ١٨) .

قال الشيطان لحواء "يوم تأكلان تفتحن أعينكما" . وكان خيراً لهما ألا تفتحن أعينهما على ذلك اللون من المعرفة .

يا ليت أن الإنسان لا يعرف سوى الخير ، حينئذ يعيش سعيداً . يعيش فى محبة

للناس، لأنه لا يعرف إلا الخير الذى فيهم، وليس غيره .

سيأتى وقت ، فى الأبدية السعيدة ، حينما نتقياً ثمرة معرفة الخير والشر، ولا نعود نعرف سوى الخير فقط، وتنسى معرفة الشر .

سيمحو الله من ذاكرتنا كل الشر الذى رأيناه تحت الشمس، ولا يبقى فينا سوى الخير وحده، نعرفه، ونتأمله، ونختبره، ونذوقه، فنزداد حباً له.. ونمارسه بالحب .

نحن لا نفعل الخير مضطرين ، ولا مأمورين ، ولا متغصبين، وإنما نفعل الخير حباً فى الخير .

تأكد أنه عندما يزن الله أعمالك فى الأبدية، ليرى ما فيها من خير، سيزن الحب الذى فيها، ولا يأخذ الله من أعمالك سوى الحب فقط، ولا يكافئك إلا على ما فيها من حب .

كيف يطبق هذا المبدأ فى حياتنا وفى أعمالنا ؟

خذ الخدمة كمثال : إنها ليست مجرد نشاط أو تعب أو عطات، إنما: هل أنت تخدم وأنت تحب الناس، وتحب خلاصهم، وتحب بنيان الكنيسة والملكوت؟ وتحب الله الذى يحبهم، والذى تريدهم أن يحبوه .. تأكد أن الله سوف لا يأخذ من خدمتك سوى الحب .. وهكذا ينجح فى الخدمة، من يراها حباً. حب الله والناس يقوده إلى خدمتهم. وكلما يخدمهم يزداد حباً لهم ، فيزداد خدمة لهم. ونفس الوضع نراه فى الصدقة ...

إنها ليست مجرد طاعة لوصية، فالكتاب يقول "المعطى المسرور يحبه الرب" . ليس مالك الذى تعطيه هو الذى يحسب لك عند الله، وإنما الحب، الحب الذى يرتفع فوق مستوى العشور والبكور والنذور، وفوق مستوى الأرقام، ويعطى بسخاء ولا يعير .

أولى ثمار الروح القدس هى المحبة . لذلك عندما عاتب الرب ملاك كنيسة أفسس، ودعاه إلى التوبة، لخص عتابه كله فى عبارة واحدة، لم يذكر فيها خطية معينة، إنما قال:

"عندى عليك أنك تركت محبتك الأولى" (رؤ ٢: ٤) .

من أجل هذه المحبة قال الرب "يا ابنى أعطنى قلبك" . وإن أعطيتنى هذا القلب، فحينئذ "ستلاحظ عينك طرقي" . فتكون إطاعة الوصايا هى نتيجة طبيعية للمحبة (أم ٢٣:

٢٦) .

كثير من الناس سلكوا فى حياة التوبة من الخارج، ولم يسلكوا فى الحب الذى من

الداخل، فأصبحت بينهم وبين الله علاقات وممارسات وطقوس، وليس بينهم وبينه حب،
ففشلت حياتهم ...

لما سئل السيد المسيح "آية وصية هي العظمى في الناموس؟" .. أجاب إنها المحبة
بشطريها: تحب الرب إلهك من كل قلبك .. وتحب قريبك كنفسك .. بهذه المحبة يتعلق
الناموس كله والأنبياء (مت ٢٢: ٢٦ - ٤٠).

كثيرون سيقولون له في اليوم الأخير "يارب بإسمك تنبأنا، وبإسمك أخرجنا
شياطين.." (مت ٧). ولكنه سيرك كل هذا ويسألهم عن الحب الذي فيهم .

إنها ليست مسألة معجزات ومواهب، فما أكثر الذين هلكوا على الرغم من مواهبهم.
لذلك فإن الرسول بعد أن تحدث عن المواهب الروحية ، قال "أريكم طريقاً أفضل" ..
وتحدث عن المحبة (١ كور ١٣) .

وبمقدار محبتنا لله، سيكون فرحنا به في الأبدية، وستكون سعادتنا .

نجم سيمتاز عن نجم في الرفة، وهذه الرفة ستحددها المحبة .

وإذا أحببت الله سوف لا تخاف ، لأن المحبة تطرح الخوف إلى خارج .. إذا أحببت
سوف لا تخاف الله ، ولا تخاف الخطية، ولا تخاف الناس، ولا تخاف الموت ..

بالحب يعيش الإنسان في فرح دائم، يفرح بالرب الذي يقوده في موكب نصرته ، من
خير إلى خير، ويفرح لتمتعه بالرب، ولأن الخطية لا مكان لها في قلبه ولا مكاتة .

حقاً قد تحدث له حروب ومقاومات من الشيطان، ولكنها ضيقات من الخارج فقط،
وأما في الداخل فيملك عليه السلام. وهكذا يجتمع في قلبه المحبة والفرح والسلام .

أريدكم أن تدرّبوا أنفسكم على هذا الحب، اخرجوا من مظاهر الحياة الروحية،
وادخلوا إلى عمق الحب. والمحبة لن تسقط أبداً .

لقد أنكر بطرس معلمه ، وسب ولعن وقال : لا أعرف هذا الرجل. ولكن الرب لم
يسأله سوى سؤال واحد "أتحبنى؟" .. وأجاب بطرس :

"أنت تعلم يارب كل شيء. أنت تعلم أنني أحبك" (يو ٢١: ١٥ - ١٧).

وبهذه المحبة نال الغفران، ورجع إلى رتبته الرسولية .

لست أود أن استرسل معكم كثيراً عن المحبة، فقد أصدرت لكم كتاباً كبيراً بعنوان
(المحبة قمة الفضائل) .



مِنْ شَمْرِ الرُّوحِ

٦

الْفَرْحِ

خلق الله الإنسان منذ البدء للفرح .

ولذلك وضعه فى جنة هى جنة عدن (تك ٢) . وأحاطه بكل وسائل الراحة . ومن أجله خلق كل شئ: السماء والأنوار ، والأنهار والثمار والأزهار وفى الأبدية يعدّ له أفراحاً أخرى لا يُعبر عنها: "ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على قلب بشر" (١كو ٢: ٩) . بل بالموت مباشرة ينقله الرب إلى فردوس النعيم، حيث فرح العشرة مع الرب والملائكة وأرواح القديسين .

بل وفى هذه الحياة الدنيا، أوجد الرب للإنسان ألواناً من الفرح .

فجعل له يوماً فى الأسبوع يستريح فيه ويفرح . ومنذ العهد القديم أعد الله للإنسان أعياداً مقدسة يفرح فيها (لا ٢٣٦) ، مع أعياد أخرى فى العهد الجديد . وأعطاه أيضاً أن يفرح بكل تبعه الذى يتعبه تحت الشمس (جا ٥: ١٨) .

وهنا نبدى ملاحظة ، وهى الفرق بين اللذة والفرح .

اللذة خاصة بالجسد وحواسه . أما الفرح الحقيقى فهو خاص بالروح .

إنسان يتلذذ بالطعام والشراب ، إنها لذة الجسد . وإنسان آخر يلتذ بالمناظر، ويشبع عينيه من أى منظر جميل . إنها أيضاً لذة تختص بحواس الجسد . وثالث يلتذ بالسمع والموسيقى، إنها لذة الحواس . ولكن تشترك هنا الروح إن كان ما يسمعه ألحاناً روحية، أو كلمات روحية تشبع روحه .

وحينما نتكلم عن الفرح ، إنما نتكلم عن فرح الروح .

لأن هناك فرحاً نفسانياً ، وهو فرح باطل .

فرح باطل

مثال ذلك الذى يفرح بسقطة عدوه أو بليتته، وهذه خطيئة خاصة بالنفس، قال عنها سليمان الحكيم "لا تفرح بسقوط عدوك" (أم ٢٤: ١١) . إنه فرح آثم، لأنه نوع من الشتمات .

وهو ضد المحبة، حسبما قال الرسول "المحبة لا تفرح بالإثم" (١كو١٣: ٦) .

من الفرح الباطل أيضاً : الفرح الممزوج بالكبرياء ، بالذات .

مثلما رجع التلاميذ السبعون فرحين يقولون للرب "حتى الشياطين تخضع لنا بإسمك". فوبخهم على ذلك بقوله "لا تفرحوا بهذا... بل افرحوا بالحرى أن أسماءكم قد كتبت فى

ملكوت السموات" (لو١٠: ١٧ - ٢٠). مثال ذلك الذين يفرحون أيضاً بالتكلم بالسنة!! إنه

أيضاً فرح ممزوج بالذات وعظمتها ومواهبها، وليس بملكوت الله ...

هناك إنسان يفرح بالخطية !!

هذا الفرح هو خطية أخرى تضاف إلى خطيته . إنه يذكرنا بأولئك الذين قال عنهم

الرسول "الذين مجدهم فى خزيمهم، الذين يفتكرون فى الأرضيات" (فى٣: ١٩) .

نوع آخر هو الذين يفرحون بأمر تافهة مادية .

مثال ذلك الابن الكبير الذى لم يفرح بعودة أخيه الضال، ولام أباه قائلاً "وقط لم

تعطنى جيداً، لأفرح مع أصدقائى" (لو١٥: ١٩)!! هذا الذى يفرحه جدى، لاشك أن

مستواه الروحى ضعيف، ورغباته أرضية ..

هذا اللون من الفرح جريه سليمان الحكيم حينما قال ..ومهما اشتتهته عيناى، لم أمنعه

عنهما" ووجد بعد ذلك أن كل ذلك باطل وقبض الريح هو" (جا٢: ١٠، ١١) . ولذلك قال

عن مثل هذا الفرح "وعاقبة الفرح حزن" (أم١٤: ١٣) . وقال أيضاً "قلب الجهال فى بيت

الفرح" يقصد الفرح الباطل (جا٧: ٤) . وقال "الحماقة فرح لناقص الفهم" (أم١٥: ٢١) .

إنه الفرح العالمى ، الخاص بالحواس وبالجسد، أو الفرح النفسانى غير الروحانى،

إذن ما هو الفرح الروحانى ؟

الفرح الروحانى

١ - هو الفرح بالرب . فرح الوجود فى حضرة الرب ، وفى عشرته . أو فرح

الإلتقاء بالرب .

كما قيل عن التلاميذ إنهم فرحوا لما رأوا الرب (يو٢٠: ٢٠) . وتحقق بهذا وعده لهم

"ولكنى أراكم فتفرح قلوبكم. ولا ينزع أحد فرحكم منكم" (يو١٦: ٢٢) .

هذا الفرح الذى قال عنه القديس بولس الرسول :

افرحوا بالرب كل حين ، وأقول أيضاً افرحوا" (فى٤: ٤) .

إنه فرح بالرب ، وفرح فى الرب ، كل حين . شاعرين بوجوده معنا، كما كان التلاميذ فرحين بالرب معهم "يحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله" (أع ١: ٣) .

فهل أنت تفرح بوجود الله فى حياتك ، أو فى حياة غيرك ؟

اسأل نفسك كل يوم : هل فرحك بالرب ، أم له أسباب أخرى ؟

٢ - فى تسبحة العنراء ، نجد هذا الفرح الروحى بالرب ، إذ تقول :

تعظم نفسى الرب ، وتبتهج روحى بالله مخلصى (لو ١: ٤٧) .

إنها تبتهج بالله وخلصه . فهل أنت أيضاً تفرح بالخلص وبالفداء ، بالكفارة التى قدمها المسيح لأجلك . إن الكنيسة تذكرنا بهذا الخلاص كل يوم فى صلاة الساعة السادسة، لكى نفرح به . نبتهج بهذه الكفارة التى حملت جميع خطايانا ومسحتها بالدم الكريم . واشترانا الرب بدمه ، فصرنا له . صلحنا معه .

٣ - هناك فرح روحى آخر ، وهو الفرح بالتوبة وبالتخلص من الخطية .

فرح بالتخلص من خطية متكررة ، أو عادة مسيطرة . فرح إنسان أمكنه أن يعترف ،

وأن ينال المغفرة . مثاله فرح الابن الضال بعودته إلى بيت أبيه (لو ١٥) .

يقول داود النبى فى مزمور التوبة "اسمعنى سروراً وفرحاً، فتبتهج عظامى المنسحقة"

"أردد لى بهجة خلاصك" (مز ٥٠) .

حقاً كم يكون فرح إنسان حينما يتخلص من عادة كانت مسيطرة عليه ، أو من خطية

كان يضعف أمامها وتتكرر فى كل اعتراف . ما أكثر فرح إنسان تخلص من الإدمان مثلاً، أو من سيطرة الأفكار الشريرة أو الأحلام النجسة .

٤ - وما أعظم الانتصار على النفس .

كما يقول الحكيم "مالك نفسه خير ممن يملك مدينة" (أم ١٦: ٣٢) . إن الانتصار على

النفس أعمق بكثير من الانتصار على الآخرين ، لأن به يتحرر الإنسان من الداخل . إن الذى ينتقم لنفسه لا يفرح مثل الذى يستطيع أن يضبط نفسه ويحتمل . لذلك فرح داود

النبى لما منعه أيجاييل الحكيمة عن أتيان الدماء والانتقام لنفسه (١صم ٢٥: ٣٢، ٣٣) .

٥ - وهناك فرح برجوع الخطاة .

وهو ليس فقط فرحاً على الأرض ، إنما فى السماء أيضاً "لأنه يكون فرح فى السماء

بخاطئ واحد يتوب" (لو ١٥: ٧) . ولعلنا نرى فى قصة رجوع الابن الضال ، أن الأب قد

قال : ينبغى أن نفرح ونسر ، لأن ابنى هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد (لو ١٥:

٥ ، ٦) . وهكذا فعلت المرأة التي وجدت درهما المفقود .. فرح لكل الأصدقاء .

ما أعظم الفرح بالبحث عن الخطاة وردهم .

هناك أشخاص عملهم هو هذا . كما قال القديس بولس الرسول " ..وأعطانا خدمة المصالحة .. واضعاً فينا كلمة المصالحة . إذن نسعى كسفراء عن المسيح، كأن الله يعظ بنا. نطلب عن المسيح: تصالحو مع الله" (٢كو٥ : ١٨ - ٢٠) .

نفرح كلما نجد إنساناً قد اصططح مع الله .. إذن الخدمة بالإضافة إلى مكافأتها في السماء، لها فرح أيضاً على الأرض. وكما يقول الكتاب "من رد خاطئاً عن ضلال طريقه، يخلص نفساً من الموت، ويستتر كثرة من الخطايا" (يع٥ : ٢٠) .

ما أعمق فرح الذي يخلص نفساً من الموت . الفرح بإنسان ارتد عن الإيمان وأعدته . أو الفرح بإنسان سقطت وضاعت ثم رجعت مرة أخرى .

٦ - إن كل عمل خير تعمله ، له فرحته :

في الأرض وفي السماء . نفرح حينما نتقذ إنساناً مسكيناً، أو نفرح قلب عائلة فقيرة، أو تريح إنساناً من تعبهِ . تشعر بفرح داخلي، لأنك أفرحت قلباً منكسرة، أو أنصفت شخصاً مظلوماً. بل تشعر بهذا الفرح حتى من جهة غير البشر، كما قال أحد الأدباء "سقيت شجيرة كوب ماء. فلم تقدم لي عبارة شكر واحدة. ولكنها انتعشت، فانتعشت" .

الأم تشعر بفرح، حينما تفرح ابنها. وتفرح حينما تشبع رضيعها ، وتفرح بنجاح أبنائها في حياتهم ...

هذا هو الفرح بإسعاد الآخرين .

إن الذي يدفع العشور وهو متضرر، لا يشعر بهذا الفرح . وقد يدفع، ولكن ماله لا يصل إلى الله لأن "المعطي المسرور يحبه الله" (٢كو٩ : ٧) ، أي أنه يعطي، وفي قلبه فرح بهذا العطاء .. ليتك تختبر فرح العطاء ...

والعطاء الروحي له فرح أيضاً نجده في فرح الآباء والمرشدين .

٧ - فرح الآباء والمرشدين الروحيين :

إن القديس يوحنا الحبيب يقول في رسالته إلى غايس "أيها الحبيب في كل شيء أروم أن تكون ناجحاً وصحيحاً، كما أن نفسك ناجحة .. ليس لي فرح أعظم من هذا، أن أسمع عن أولادى أنهم يسلكون بالحق" (٣يو٢ ، ٤) ... إن هذا جزء من افراح الخدمة والرعاية. ولذلك يقول القديس بولس الرسول "اطيعوا مرشديكم واخضعوا، لأنهم يسهرون لأجل

نفوسكم كأنهم سوف يعطون حساباً . لكي يفعلوا ذلك بفرح - غير آنين - لأن هذا غير نافع لكم" (عب ١٣: ١٧) .

يفرح المرشد الروحي بنجاح أولاده روحياً . يفرح من أجلهم، وأيضاً من أجل نفسه، من أجل أدائه لرسالته التي أتت بنتيجة ...

أما الابن الذي لا يطيع ، أو يدخل في مجادلات عقيمة مع مرشده ولا ينفذ ، فإنه يسبب لهذا الأب والمرشد ألماً . إن الذي يطيع ويقبل الكلمة ، ويأتي بشمر ، يذكرنا بقصة الخصى الحبشى الذى استمع لقيس وأمن واعتمد "ومضى فى طريقه فرحاً" (أع ٨: ٣٩) .
لنيتنا نفرح بأفراح الناس ، ولا ننسى مجاملاتهم فى أفراحهم ، بمشاركة قلبية فى ذلك الفرح . إن الطفل يشعر بفرح كبير حينما يجد مجموعة كبيرة حوله تفرح بعيد ميلاده، وتغنى له أنشودة .. وكذلك الكبار أيضاً يفرحون بمن يهنئهم فى مناسباتهم المبهجة .
يذكرنا هذا بذبيحة السلامة .

كان يأكل منها مقدمها وأحبائه أيضاً ، وهو فرح بعمل الرب معه ويقر بها لأجل الشكر (٧٧: ١٢ ، ١٩) . ويذكرنى هذا بالذين كانوا يخبزون (فطير الملاك) ويوزعونه، يأكل منه أصدقاؤهم فرحين معهم بمعجزة أجراها السلاك معهم .. إن الفرح بفرح الآخرين يشعروا أننا كلنا أسرة واحدة .

١١ - درجة عالية من الفرح ، أن نفرح بالتجارب واثقين من بركاتها وأكاليها .
كما قال القديس يعقوب الرسول "أحسبوه كل فرح يا أخوتى حينما تقعون فى تجارب متنوعة" (يع ١: ٢) .

لسنا فقط نحتملها ، إنما أيضاً نفرح بها، نفرح بالصليب، وبالباب الضيق، وبكل الآلام والاضطهادات . نفرح بالرب "وشركة آلامه" (فى ٣: ١٠) . واثقين أننا "إن كنا نتألم معه، فلكى نتمجد معه أيضاً" (رو ٨: ١٧) . وبالإيمان نرى أن "كل الأشياء تعمل معاً للخير" (رو ٨: ٢٨) . لا ننظر إلى الألم الموجود، إنما ننظر فى رجاء إلى عمل الرب المقبل.
لذلك قال الرسول :

١٢ - "فرحين فى الرجاء" (رو ١٢: ١٢) .

الرجاء يعطى أملاً فى مستقبل مشرق . وهذا الأمل مصدره الإيمان بتدخل الله وعمله . ونتيجة ذلك يفرح القلب . كما يقول المرثل فى امزمور :

"يفرح بك جميع المتكلمين عليك" (مز ٥: ١١) "لأن المتكل على الرب لا يخزى" . إنه

شاعر بفرح ، لأن الرب لا يد سيفرحه ...

✱ ✱ ✱

إن أولاد الله يعيشون دائماً فى فرح .

لأن الفرحة هو من ثمر الروح .

يقول الرسول "ثمر الروح محبة فرح سلام.." (غل ٥ : ٢٢) . فالإنسان الروحى لمحبه لله، ومحبة الله له، يشعر بفرح. أياً كانت الأمور، لا يد أن الرب سيعمل وفرح بعمله. بل أن الرب فعلاً يعمل، حتى إن كنا لا نرى عمله الآن . سنراه ولو بعد حين، فتفرح قلوبنا، ولا يستطيع أحد أن ينزع فرحنا منا .

على أن أولاد الله يفرحون دائماً بالرب ذاته ، وليس بمجرد عطايه .

١٣ - الفرحة بنجاح الخدمة :

إن المعمدان فرح كثيراً ببشارة السيد المسيح ونجاحها .

فقال "من له العروس فهو العريس. وأما صديق العريس الذى يقف ويسمعه، فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس. إذن فرحى هذا قد كمل" (يو ٣ : ٢٩). لقد فرح لأنه سلم العروس للعريس، حتى لو انتهت بذلك خدمته . هنا الفرحة الروحية البعيدة عن الإهتمام بالذات ... أما الإنسان الأتانى فلا يفرح إلا بخدمته هو ، كأنه أوحيد الذى يخدم. ومن هنا قد يحدث التنافس والحسد بين الخدام، ولا يفرحون بعمل غيرهم ...

ولا يمكننا أن نتصور مقدار فرح الشعب حينما تم بناء هيكل زريابل بتعب كثير.. حتى أن الكتاب يقول أنهم "بكوا بصوت عظيم عند تأسيس هذا البيت أمام أعينهم. وكثيرون كانوا يرفعون أصواتهم بالهتاف بفرح. ولم يكن الشعب يميز هتاف الفرحة من صوت بكاء الشعب" (عز ٣ : ١٢، ١٣). وكما يقول المرثل "الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالإبتهاج" (مز ١٢٦). إن الذين يخدمون فى حقل الرب ، يفرحون بثمار الخدمة، مهما كان تعبهم فيها، بل إن تعبهم يزيد من فرحهم . يقول الرسول :

"حزائى ونحن دائماً فرحون" (١كو ٦ : ١٠) .

فى نظر الناس من الخارج حزائى ، بسبب ما تبذله فى الخدمة من ألم وتعب. ولكننا فى الداخل فرحون. يقول القديس بولس أيضاً "أفرح فى لآمى لأجلكم" (كو ١ : ٢٤) .

١٤ - كل إنسان أيضاً يفرح بثمر عمله، ويفرح بعمل الرب معه .

وهكذا قيل فى المزمور "عظم الرب الصنيع معنا، فصرنا فرحين" (مز ١٢٦ : ٣) .

وهنا نرى أيضاً أن الفرح يمتزج بالشكر .

اقرأ مزمور ١٠٣ تجده كله فرحاً بعمل الرب "باركئ يا نفسى الرب، ولا تنسى كل إحساناته" . إن الذى يعمل مع الله، يفرح بعمل الله معه. وتفرح أن تعبك لم يكن باطلاً . وكما يقول الرب "يفرح الزارع والحاصد معاً" (يو٤ : ٢٦) .

١٥ - الإنسان الروحي يفرح لفرح غيره :

كما يقول الكتاب "فرحاً مع الفرحين" (رو١٢ : ١٥) . إننا جسد واحد. إن تألم عضو، تتألم معه باقى الأعضاء. وإن فرح عضو، تفرح له ومعه باقى الأعضاء. المشاركة فى أفراح الناس فضيلة. قيل عن القديسة اليسانبات العاقر لما ولدت ، إنه "سمع جيرانها واقرباؤها أن الرب عظم رحمته لها ففرحوا معها" (لو١ : ٥٨) .

إن الفرح بمجرد العطايا أمر له خطره . لأنه إن لم نأت عطايا الرب أو نعمه، ربما يتغير القلب من الداخل ، أو يتحول إلى حزن، أو يتدمر على الرب، ليس فقط لأنه لم يعط، بل حتى إن تأخر فى عطائه ...

لذلك فالروحيون لا يفرحون لمجرد العطية ، بل يفرحون بمعطيها . يفرحون بمحبة وحنو الله الذى يعطى . وهكذا يفرحون بالرب ...

إنهم يفرحون بالرب كأب يهتم بهم ويرعاهم ، وبطيهم كل ما يحتاجون إليه ... ويفرحون بمحبته لهم التى يتقون بها تماماً، حتى إن لم ينط ، أو إن لم يروا عطايها (على وجه أصح) لأن الله دائماً يعطى .

* * *

هنا ونسأل سؤالا هاما :

ماذا عن الموت ؟ هل هو سبب فرح ؟ أم هو سبب حزن أو خوف ؟

الموت هو سبب فرح روجى، للذين يتقون بمصيرهم بعد الموت. مثل القديس بولس الرسول الذى انتهى الموت قائلاً "لى اشتها أن أنطلق وأكون مع المسيح، ذاك أفضل جداً" (فى١ : ٢٣) . ومثل سمعان الشيخ الذى طلب الموت قائلاً "الآن يارب تطلق عبدك بسلام حسب قولك، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك.." (لو١ : ٣٠) .

أما الذين لم يستعدوا للموت ، ولم يستعدوا للقاء الرب ، فإنهم يخافون الموت، لأنهم يخافون ما بعد الموت . عدم استعدادهم يمنع الفرح بالموت .

الخطية عموماً تمنع الفرح الروحي .



مِنْ شَمْرِ الرُّوحِ

٣

السَّلَامِ

هكذا قال القديس بولس الرسول "ثمر الروح : محبة فرح سلام" (غل ٥ : ٢٢) . وقد تحدثنا عن المحبة والفرح .. ونود أن نتحدث الآن عن السلام .
نذكر أولاً مقدمة عن أهمية السلام ، وعن استعماله فى الكتاب وفى الصلوات وفى الحياة ...

ثم نتحدث عن ثلاثة عناصر هامة للسلام :

- ١ - سلام مع الله ، و سلام من الله .
 - ٢ - سلام مع الناس .
 - ٣ - سلام داخلى فى القلب بين الإنسان ونفسه .
- أهمية السلام :

السلام عنصر هام لحياة الناس . بدون لا يستقر مجتمع ، ولا يهدأ إنسان . والسلام هو شهوة الدول والشعوب حتى تعمل فى هدوء . وبدونه يعيش العالم فى شريعة الغاب . والله يريد لنا السلام ، ويمنحنا إياه .

هو الذى قال لتلاميذه القديسين "سلامى أترك لكم . سلامى أنا أعطىكم .. لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع" (يو ١٤ : ٢٧) . ونحن نصلى هذا الفصل من الإنجيل فى الساعة الثالثة من كل يوم ، متذكرين هذا السلام ، حتى لا تضطرب قلوبنا ولا تجزع .

والسلام هو الأنشودة التى غنى بها الملائكة يوم ميلاد السيد المسيح . فقالوا "المجد لله فى الأعلى ، وعلى الأرض السلام .." (لو ٢ : ١٤) .
وما أكثر ما يقول الأب الكاهن عبارة "السلام لجميعكم" .

يقولها فى بدء كل صلاة طقسية ، وفى بدء الأواشى ، ومرات عديدة جداً فى كل قداس . إنه يصلى أن يكون السلام فى قلوب الجميع ، لأنهم إن فقدوا سلامهم ، فقدوا

العنصر الأساسي لحياتهم ولتعاملهم مع الآخرين ...

والسلام هو التحية التي يتبادلها الناس كل يوم . وهي التي صدرت من الرب ومن الملائكة ...

عند ملاقة الرب للمريمتين بعد القيامة ، قال لها سلام لكما (مت ٢٨ : ٩) . وعندما دخل العلية على التلاميذ قال لهم سلام لكم (يو ٢٠ : ١٩) . بل أن هذه العبارات تكررت في هذا الإصحاح من إنجيل يوحنا ثلاث مرات (أنظر أيضاً لو ٢٤ : ٣٦) . وفي إرسال الرب لتلاميذه قال لهم : وأى بيت دخلتموه ، فقولوا سلام لأهل هذا البيت . فإن كان ابناً للسلام ، يحل سلامكم عليه (لو ١٠ : ٥ ، ٦) .

القديسة العذراء عندما زارت القديسة أليصابات بدأتها بالسلام "قلما سمعت اليبصابات سلام مريم ، ارتكض الجنين في بطنها ، وامتلات اليبصابات من الروح القدس" (لو ١ : ٤١) ترى ما قوة ذلك السلام !!

والملاك جبرائيل في تبشيره للعذراء بميلاد المسيح ، قال لها "السلام لك أيتها الممتلئة نعمة ، الرب معك" (لو ١ : ٢٨) .

ونرى أن الآباء الرسل يبدأون رسائلهم بالسلام . فيقولون "نعمة لكم وسلام" (رو ١ : ٧) (١كو ١ : ٢) (٢كو ١ : ٢) (غل ١ : ٣) (أف ١ : ٢) ... وفي خلال الرسائل يقولون : سلموا على .. يستلم عليكم ... " (أنظر رو ١٦) (٣يو ١٥) .

ومن أهمية السلام أنه وضع في مقدمة ثمر الروح ، إذ قيل "ثمر الروح : محبة فرح سلام" (غل ٥ : ٢٢) .

وقيل في المعاملات "ثمر البر يزرع في السلام من الذين يعملون السلام" (يع ٣ : ١٨) . وكما كان بدء اللقاءات بالسلام ، كذلك أيضاً كانت تنتهي . كما قال أليشع النبي لنعمان السرياني "إمضِ بسلام" (٢مل ٥ : ١٩) . كذلك قال السيد المسيح للمرأة الخاطئة "أذهبى بسلام" (لو ١٧ : ٥٠) .

سَلام مَعَ اللّهِ

حينما خُلِقَ الإنسان ، كان في سلام مع الله .
ولكن بالخطية ، فقد الإنسان سلامه مع الله .

هكذا حدث مع آدم (تك٣) ومع قايين (تك٤) . وهكذا حدث مع كل الأشرار في العالم عبر الأجيال . لأن الخطية هي انفصال عن الله (لوقا: ١٥: ١٣) . وهى أيضاً عداوة لله (يع: ٤: ٤) (١يو٢: ٥) . لذلك قيل :

"لا سلام قال الرب للأشرار" (أش٤٨: ٢٢) .

وقد تكرر نفس المعنى (أش٥٧: ٢١)، فى نفس السفر . فالأشرار يفقدون سلامهم مع الله، هنا على الأرض . وأيضاً فى آخر الزمان، فى مجئ الرب . وفى ذلك يقول القديس بولس الرسول "مخيف هو الوقوع فى يديّ الله الحي" (عب١٠: ٣١) . ولكن كيف تكون إذن المصالحة مع الله؟ (٢كو٥: ٢٠) .

غير المؤمنين يصطلحون مع الله بالإيمان . والخطاة يصطلحون مع الله بالتوبة . فعن الإيمان قال الكتاب "إذ قد تبررنا بالإيمان، لنا سلام مع الله" (رو٥: ١) . هذا السلام كان نتيجة للدم الذكى الذى سفكه المصلوب لأجلنا "لأنه هو سلامنا.. الذى نقض الحائط المتوسط" (أف٢: ١٤) ... هو صنع السلام بين السماء والأرض . أما عن التوبة ، فيقول الله - تبارك اسمه- "ارجعوا إليّ، أرجع إليكم" (ملا٣: ٧) . ويقول القديس يوحنا الحبيب "إن لم تلمنا قلوبنا، فلنا ثقة من نحو الله" (١يو٣: ٢١) . وقال القديس أغسطينوس فى كتاب اعترافاته للرب "ستظل قلوبنا مضطربة، إلى أن تجد راحتها فيك" .

سَلام من الله

السلام الحقيقى هو من الله ، هذا الذى قيل عنه فى امزمور "الله يبارك شعبه بالسلام" (مز٢٩: ١١) . وعن هذا السلام ، قال الرسول

"سلام الله الذى يفوق كل عقل، يحفظ قلوبكم وافكاركم" (فى٤: ٧) .

الله هو مصدر السلام ، ورئيس السلام ، وملك السلام . ونحن نقول له فى نحن (إب أورو) يا ملك السلام، أعطنا سلامك، قرر لنا سلامك.. . وأول أوشية هى (أوشية السلامة)، نطلب فيها من الله سلاماً للكنيسة وكل الشعب .

سلام الله يحفظنا من الشيطان ، ومن الخوف والقلق .. فليتنا نتذكر وعود الله لنا . إنك تجد سلاماً داخل قلبك، إن تذكرت قول الرب "هوذا على كفى نقشتك" (أش٤٩: ٤٩)

١٦). وايضاً قوله "أما أنتم، فحتى شعور رؤسكم جميعها محصاة" (مت ١٠: ٣٠) .
 "تكونون مبغضين من الجميع لأجل إسمي. ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك" (لو ٢١: ١٨) .
 "لأنه لا تسقط شعرة من رأس واحد منكم" (أع ٢٧: ٣٤) .
 مما يجلب السلام أيضاً مزامير عن حفظ الله لك .

مثل المزمور (١٢٠) : "الرب يحفظك. الرب يظل على يدك اليمنى. فلا تضربك الشمس بالنهار، ولا القمر بالليل.. الرب يحفظك من كل سوء. الرب يحفظ دخولك وخروجك" .

أو المزمور (١٢٣) : "تجت أنفسنا مثل العصفور من فخ الصيادين. الفخ انكسر ونحن نجونا. عوننا من عند الرب الذى صنع السماء والأرض" .
 أو المزمور (٩١) "الساكن فى ستر العلى، فى ظل القدير يبيت . لا تخش من خوف الليل، ولا من سهم يطير بالنهار" "يسقط عن يسارك ألوف، وعن يمينك ربوات. أما أنت فلا يقتربون إليك" .

وما أكثر وعود الله فى المزامير التى تجلب السلام، لذلك قلنا :

احفظوا المزامير ، تحفظكم المزامير .

تكلّمنا عن السلام الذى من الله ، لأن هناك ألواناً أخرى من السلام الزائف ، ليست

من الله !

سَلام زائف

مثاله السلام الزائف الذى كان يوحى به الأنبياء الكذبة قبل السبى، حتى لا يتوب الناس خائفين من غضب الله الآتى . وهكذا قال الرب فى سفر حزقيال النبى "أضلوا شعبي قائلين سلام، ولا سلام" (حز ١٣: ١٠) . وكما ورد أيضاً فى سفر أرمياء النبى "قائلين سلام سلام، ولا سلام" (أر ٦: ١٤) .

إنه لون من الخداع ، فيه تخدير للأعصاب وللضمير .

تماماً مثلما خدع الشيطان أبونا الأولين قائلاً "لن تموتا. بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه، تفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر" (تك ٣: ٤ ، ٥) .

وكأى شخص يدعو إنساناً للإشتراك معه فى خطية ما، ويشعره بأنه سوف لا يصيبه من ذلك أى أذى، بل سيمر الأمر بسلام !! ... سواء كان ذلك فى سرقة أو رشوة أو زنى

أو غش ..

وقد يأتي مثل هذا السلام الزائف من ثقة الشخص واعتداده بنفسه ، وظنه أنه سيفعل كل ما يريد، وتمرّ كل تدبيراته الخاطئة في سلام ! كالمقاتل الذي يثق بنفسه أنه سيرتكب جريمته بكل حرص دون أن يترك أثراً، ويمر ذلك بسلام .

كله سلام زائف يصوّره الإنسان لنفسه، أو يصوّره له الشيطان أو شركاء السوء أو المحرضون .

ننتقل إلى بند آخر وهو السلام مع الناس :

سَلَامٌ مَعَ النَّاسِ

فيه يسلم الناس بعضهم على البعض ، ليس فقط بالأيدى، وإنما بالقلب والنية أيضاً . ويقولون كلمة سلام من عمق قلوبهم ويقصدونها .

وإن كانت بينهم خصومة من قبل ، يتصالحون ...

وعن هذا قال السيد في عظته على الجبل :

"إذا ما قدمت قربانك إلى المذبح . وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك، فاترك هناك قربانك قدام المذبح. واذهب أولاً اصطلح مع أخيك" (مت: ٥ : ٢٣ ، ٢٤). وفي هذا تشترط الكنيسة الصلح قبل تناول ...

وفى القديس الإلهي نصلى صلاة الصلح قبل قداس القديسين ، وقبل سيامات الإكليروس ...

ولأنه قد يبدو من الصعب أن تصطلح مع كثير من الأعداء والمقاومين ، لذلك قال الرسول :

"إن كان ممكناً، فحسب طاقتكم ، سالموا جميع الناس" (رو ١٢ : ١٨) .

ذلك لأن البعض لا يمكنك مسالمتهم، إلا إذا اشتركت في الخطأ معهم، أو بسبب شراسة طباعهم، أو لأنهم يحسدونك بسبب نجاحك، أو بسبب تدابير معينة يدبرونها، أو لأن سلوكك الطيب يكشف أخطاءهم، أو لأي سبب آخر ..

لهذا حسب طاقتك ، إن كان ممكناً لك، سالم جميع الناس . وإلا فعليك بالآتي :

★ لا تجعل الخلاف يأتي بسببك .

كن مصلوباً لا صائباً . قد يعاكسك الغير . ولكن لا تبدأ أنت بالشر . ثم لا تكن حساساً
جداً من جهة أخطاء الآخرين .
*كن واسع الصدر حليماً .

اذكر ما قيل عن موسى النبي "وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس
الذين على وجه الأرض" (عد ١٢ : ٣) .
حاول باستمرار أن تحتمل وأن تغفر .

وكما قال الرسول "لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحباء" لا تجازوا أحداً عن شر بشر"
(رو ١٢ : ١٩ ، ١٧) . إبعاد عن الغضب وعن الإستتارة والإنفعال وكما قال الرسول :
"لا يغلبك الشر ، بل اغلب الشر بالخير" (رو ١٢ : ٢١) .

واعرف أن الذى يحتمل هو الأقوى . أما الذى لا يستطيع أن يحتمل ، فهو الضعيف .
لذلك قال الرسول "يجب علينا نحن الأقوياء ، أن نحتمل ضعفات الضعفاء ، ولا نرضى
أنفسنا" (رو ١٥ : ١) .

*لا تطالب الناس بمثاليات . وإنما إقبلهم كما هم ، بواقعهم ، وليس كما ينبغى أن
يكونوا .

إننا نقبل الطبيعة كما هي : الفصل المطير ، والفصل العاصف ، والفصل الحار ،
دون أن نطلب من الطبيعة أن تتغير . فلنكن هكذا معاملتنا لمن نقابلهم من الناس . ليسوا
كلهم ابراراً طيبين . كثير منهم لهم ضعفات ، ولهم طباع تسيطر عليهم . إنهم عينات
مختلفة ، وبعضها مثيرة . فلتأخذ منهم موقف المتفرج ، وليس موقف المنفعل . وعاملهم
حسب طبيعتهم ، بحكمة .

*بالوداعة والتواضع يمكن مسالمة الكثيرين .

إن قيل إنه بالروح الرياضية يمكن أن تكسب الكثيرين وتسالهم ، فكم بالأكثر
بالوداعة والإتضاع .. وإن كنت فى مجال الدفاع عن الحق ، فافعل ذلك بهدوء وباتضاع .
لك أن تحب الحق ، وأن تدافع عن الحق ، ولكن ليس لك أن ترغم الناس على السير
فيه . إن الله نفسه أعطانا وصايا ، ولم يرغنا على طاعتها .

الاستثناء الوحيد فى موضوع المسالمة ، هو معاملة الهراطقة والمبتدعين وفاسدى

الخلق .

نحن لا نستطيع أن نجامل المبتدعين والهرطقة على حساب التفريط في الإيمان . فقد قال القديس يوحنا الحبيب "إن كان أحد يأتيكم ولا يجئ بهذا الإيمان، فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه يشترك في أعماله الشريرة" (٢يو ١٠: ١١) .

إن أراد أحد أن يبعدك عن الإيمان، فاحترس منه ولا تجامله ، ولا تقبله في البيت . بنفس الوضع يمكن أن تبتعد عن محاولة أن يفسد خلقك ويفودك إلى الخطية .

واذكر قول الكتاب " لا تضلوا، فإن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة" (١كو ١٥: ٣٣) . وأيضاً ما قيل في المزمور الأول "طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار. وفي طريق الخطاة لم يقف. وفي مجلس المستهزئين لم يجلس" (مز ١) .



وفي السلام الداخلي: الإطمئنان وعدم الخوف

الخوف

إن عدم وجود السلام القلبي يسبب الخوف . بل يسبب أيضاً القلق والإضطراب والانعاج .. ومتاعب نفسية كثيرة ...

انظروا إلى إنسان يملك السلام قلبه، مثل داود النبي. نراه يقول في مزاميره "إن يحاربني جيش، فلن يخاف قلبي. وإن قام عليّ قتال. ففي هذا أنا مطمئن" (مز ٢٧).
وأيضاً إن سرت في وادي ظل الموت، فلا أخاف شراً، لأنك أنت معي" (مز ٢٣).
الجيش كله خاف من ملاقاته جليات ، لكن داود لم يخف .

كان قلبه مثل قلب أسد . مع أنه كان شاباً صغيراً، وأخوته الأكبر منه كانوا خائفين ..
والملك شاول نفسه قال له "لا تستطيع أن تذهب لتحاربه، لأنك غلام وهو رجل حرب منذ صباه" (اصم ١٧ : ٣٣) .

ولكن داود القوي القلب قال للملك "لا يسقط قلب أحد بسببه .. عبدك يذهب ويحاربه "
وحكى كيف أنه في صباه كان يرعى غنمه، فجاء أسد مع دب ، وأخذ شاه من القطيع"
ولم يخف داود من كليهما، بل خرج وراء الأسد ، وأنقذ الشاة من فمه. وقتل الأسد والدب
جميعاً" (اصم ١٧ : ٣٤ - ٣٦) .

وعدم خوف داود من جليات الجبار، كان مرتكزاً على عمل الرب .

قال داود "الحرب للرب" وليس الخلاف بسيف أو برمح .. وقال للجبار "أنت تأتي إليّ بسيف ورمح وبنترس، وأنا آتى إليك باسم رب الجنود" فى هذا اليوم يحبسك الرب فى يدي" .. إنها ثقة قوية بعمل الرب ورعايته . لذلك لم يخف مطلقاً، وبإيمانه ادخل إسم الله إلى ساحة الحرب .. الله الذى هو أقوى من جليات الجبار، ومن كل جبابرة الأرض،

لذلك قال عن جليات "لا يسقط قلب أحد بسببه" (اصم ١٧: ٣٢) ...

وهكذا الذى يملك السلام قلبه، ليس فقط يكون مطمئناً، بل أيضاً يشيع الإطمئنان فى القلوب. فكمثال داود، كان موسى واليشع: كل منهما فى سلامه واطمئنانه، كان يبعث نفس الإطمئنان فى قلوب غيره.

جيش الأعداء كان يحيط بالسامرة، وكان اليشع النبى مطمئناً. أمام تلميذه جيجزى فكان خائفاً، لأنه لم يكن يبصر المعونة الإلهية المحيطة بالمدينة. لذلك قال اليشع لتلميذه جيجزى "لا تخف لأن الذين معنا أكثر من الذين علينا" (٢مل ٦: ١٦). وصلى إلى الله لكي يفتح عينى الغلام فيرى ...

والشعب أمام البحر الأحمر من ناحية، وفرعون من ناحية أخرى. خافوا إذ رأوا الموت يهددهم، ولم يكن لهم الإيمان الذى يرون به خلاص الرب. أما موسى فلم يخف. بل قال للشعب "لا تخافوا. قفوا وأنظروا خلاص الرب.. الرب يقاتل عنكم وأنتم تصمتون" (خر ١٤: ١٣، ١٤).

بالإيمان نرى معونة الله وخلصه. فلا نخاف.

بطرس الرسول وهو ماش مع الرب على الماء، لما نظر إلى الأمواج "ولما رأى الريح شديدة خاف وابتدأ يغرق" (مت ١٤: ٣٠) وسبب ذلك أنه كان ينظر إلى الموج، وليس إلى المسيح الذى يمسك بيده وينجيه. لذلك وبخه السيد على عدم إيمانه وقال له "يا قليل الإيمان، لماذا شككت" (مت ١٤: ٣١). إن الله دائماً يدعونا إلى عدم الخوف.

إنه يقول "لا تخافوا. لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع" "سلامى أترك لكم.. سلامى أنا أعطيكم" (يو ١٤: ٢٧). وكان الله دائماً يقوى أولاده، ويدعوهم إلى عدم الخوف.. لما أحس يشوع بالضعف بعد موت موسى النبى، قال له الرب "كما كنت مع موسى النبى أكون معك، لا أهلك ولا أتركك" "تسدد وتشجع. لا تهرب ولا ترتعب، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب" بل قال له أكثر من هذا "لا يقف إنسان فى وجهك كل أيام حياتك" (يش ١: ٥-٩).

وما أجمل العبارة المعزية التى قالها لبولس الرسول فى رؤياه "لا تخف، بل تكلم ولا تسكت، لأنى أنا معك، ولا يقع بك أحد ليؤذيك" (أع ١٨: ٩، ١٠). وعندما كان يعقوب أبو الآباء خائفاً من أخيه عيسو، ظهر له الرب فى رؤياه وعزاه. وقال له "ها أنا معك،

وأحفظك حيثما تذهب، وأردك إلى هذه الأرض" (تك: ٢٨: ١٥) .

إن الخوف دخيل على الطبيعة البشرية، لم يدخل إلى النفس إلا بعد الخطية .

كان آدم يعيش مع الوحوش ، مع الأسود والنمور والفهود ، ومع الثعابين والديبب ، وما كان يخاف ، وكذلك كان أبونا نوح فى الفلك مع كل هذه الوحوش، وكان يعتنى بها ويطعمها ، وما كان يخاف .

آدم لما أخطأ بدأ يخاف . واختبأ خلف الشجر، وقال للرب "سمعت صوتك فى الجنة فخشيت، لأنى عريان فاخترت" (تك: ٣: ١٠) .

وكما خاف آدم بعد الخطية ، كذلك خاف قايين .

وقال للرب "ذنبى أعظم من أن يحتمل . ها قد طردتني اليوم عن وجه الأرض، ومن وجهك أختفى . وأكون تائهاً وهارباً فى الأرض. فيكون كل من وجدنى يقتلنى" (تك: ٤: ١٣ ، ١٤) . وقضى قايين بقية أيامه فى رعب، فاقداً لسلامه الداخلى .

الخطية تشعر الإنسان بأنه انفصل عن الله مصدر القوة والحماية ، فيخاف ...

يخاف من الخطية وانكشافها وفضيحتها أمام الناس ، ويخاف من نتائج الخطية ، ومن عقوبة المجتمع أو القانون ، ويخاف من الله نفسه ودينونته ، ويخاف من ضعفه أمام الخطية، ومن الشيطان الذى انتصر عليه .

فإذا حصل الإنسان على مغفرة الله وستره ، فلا يخاف ، وإن آمن بمعونة الله له فى ضعفه ، فلن يخاف لأن مجرد شعوره أن الله معه، ينزع الخوف من قلبه .

الإنسان الخائف ، ينظر إلى سبب الخوف وليس إلى الله الذى ينجيه منه .

أسباب الخوف

ما أكثر أسباب الخوف ، وهى تابعة من داخل الإنسان .

اللبعض يخاف من كلام الناس ، ومن بطشهم ، ومن مؤامراتهم .

واللبعض يخاف من حسد الناس .

وطالما هو يؤمن بالعين الحاسدة وأثرها السئ، سيظل خوفه مستمراً . وليس مصدر

خوفه هو قوة عين الحسود، إنما السبب يكمن فى ضعف قلبه الذى يؤمن بالحسد .

وقد يخشى أحدهم من الناس الأشرار ، ولا يضع فى قلبه معونة الله .

كان ارميا يخاف من الناس . أما الرب فقال له "لا تخف من وجوههم ، لأنى أنا معك - يقول الرب - لأنفذك .. هأنذا قد جعلتك اليوم مدينة حصينة وعمود حديد واسوار نحاس على كل الأرض .. فيحاربونك ولا يقدررون عليك ، لأنى أنا معك لأنفذك" (أر ١: ٨، ١٨، ١٩) .

وقد يخاف إنسان من قوم ، وهم لا يفكرون مطلقاً فى إيدانه .

مثلما كان شاول الملك يخاف داود ، ويطارده فى كل مكان ليقتله . بينما لم يفكر داود إطلاقاً فى أن يؤذى شاول حتى عندما وقع فى يده، وكان بإمكانه أن يقتله ونصحه اتباعه بذلك .. قال داود "حاشا لى أن افعل هذا الأمر بسيدى مسيح الرب ، فأمد يدى إليه، لأنه مسيح الرب هو . وويخ داود رجاله، ولم يدعهم يقومون على شاول" (اصم ٣٤: ٦، ٧) .. وقال للملك لما استيقظ "وراء من خرج ملك إسرائيل؟! وراء من أنت مطارد؟! وراء كلب ميت؟! وراء برغوث" .. وكانت النتيجة أن شاول الملك رفع صوته ويكى وقال لداود "أنت أير منى" (اصم ٢٤: ١٤، ١٦) .

كان يخاف من وهم . من شئ غير موجود ، كخوف الأطفال .

الطفل يخاف من أوهام . من أمور يتصورها قلبه الخائف، ويخترعها فكره الخائف، مثل أن يخاف من الظلام .. وليس وراء الظلام ما يخيف .. أو يخاف من (حرامى) غير موجود .. أو يخاف من (عفريت) وليس هناك عفاريت .. إنها أوهام يخترعها القلب الخائف . أو يخاف الطفل من وجوده وحده ، وعدم وجود أحد إلى جواره يحميه من أى خطر غير معروف . ويصرخ الطفل ويكى بلا سبب إلا الخوف .

وتستمر مخاوف الطفولة عند البعض وهم كبار .

يخاف من امتحان ، ربما يكون صعباً والأسئلة معقدة ، أو من التصحيح وقد يكون قاسياً .. وإن نجح وقدم على الوظيفة وطلبوه للمقابلة يخاف من الـ Interview ، وربما يفشل فيه ...

وقد تخاف فتاة من لقاء عريس جاء لخطبتها .

ربما لا تعجبه ربما يذهب ولا يعود . وربما تخاف مما يقوله الناس بعدئذ .. وتخاف من لقاء عريس آخر، لنلا يذهب كما فعل سابقه وتستمر المخاوف ... وقد يخاف الإنسان من الفشل .

فإن قام بأى مشروع يخاف أن يفشل ، يخاف أن تقف أمامه معوقات ، أو مؤامرات من المنافسين ، أو خيانة وسرقات من الشركاء .

إن كان فقيراً ، يخاف من العوز ، وإن كان غنياً يخاف من السرقة ، وعلى أية الحالات يخاف ...

وإنسان يخاف من المخاطر .

إن ركب طائرة يخاف أن تحدث لها كارثة، ويتذكر كل كوارث الطائرات وما نشر عنها في الصحف.. وفي كل طرق المواصلات، يخاف من الحوادث، لا يضع أمامه النقطة البيضاء .. إنما كل سجل النقطة السوداء حاضر في ذهنه ، فكره هو الذى ينميه ويخيفه .

وإنسان آخر يخاف من نفسه :

يخاف من عجزه ، من عدم قدرته ، من نسيانه ، من ضعفه أمام قوة منافسيه وخصومه .. يخاف من عدم قدرته على الإستمرار، لذلك، يفقد الثقة بالنفس ، ويفقد روح الجرأة والإقدام ، ويفقد القوة على البدء بأية مبادرة. صورة العجز والفشل ماثلة أمامه باستمرار .. إنه يخاف حتى من الخطية وعجزه عن مقاومتها .

الخوف يسبب له الإضطراب والقلق والإزعاج ، بل الخوف يشل تفكيره عن العمل . ويكون له تأثيره على نفسه وعلى أعصابه.. ويظهر الخوف فى ملامحه ، فى نظراته، فى لهجة صوته، فى حركات جسده . بل قد يرتعش ويصفر وجهه . ويخفق قلبه، ويكون مكشوفاً أمام الكل أنه خائف ... وقد يظهر الخوف فى تصرفاته، فى تردده، وعدم قدرته على إتخاذ قرار، وفى بحثه عن حماية ...

والبعض قد يقوده الخوف إلى الإبطاء ، وإلى تكرار عبارة "يكون كل من وجدنى يقتلنى" (تك ٤: ١٤) .

أما الإنسان الروحى فلا يخاف ، بل يملك السلام على قلبه ، وبالسلام الطمأنينة .

وقد يخاف إنسان من الموت :

أو يخاف من المرض الذى يؤدي إلى الموت .

وإذا أصيب بمرض تنهار معنوياته ، ويتصور اقمسى ما يمكن أن يتطور إليه المرض، مثلما يفكر بعض الأطباء إذا مرضوا .. وقد يحاف البعض من العدوى، ويتخذ لتفاديها وسائل تخرج عن الحد المألوف !

الذين لا يخافون

أما الإنسان الروحي ، الذى يملك السلام على قلبه ، فلا يخاف الموت .
لأن استعداده للموت بالحياة البارة ، ينزع خوف الموت من قلبه . بل على العكس
يشتهى الموت، الذى ينقله إلى عشرة المسيح والملائكة والقديسين .
ويذكر قصص الشهداء وآباء البرية .

الشهداء الذين لم يخافوا الموت ولا التعذيب ولا التهديد ، ولا الولاة ولا المحاكمات
ولا السجن . وكانوا يرتلون فى السجن، ويفرحون بلقاء الرب .. سيرة قلوبهم القوية ،
تمنحك قوة فلا تخاف ، ويملك السلام على قلبك ...

كذلك آباء البرية ، الذين ما كانوا يخافون الوحدة فى البرارى .

بل يجدون فيها متعة روحية ، وما كانوا يخافون حروب الشياطين، ولا وحوش
البرارى، ولا ديبب الأرض، وبعضهم كان يسكن أحياناً فى القبور، ولا يخاف . ومعروفة
قصة ابا مقار الذى نام فى مقبرة وقد وضع جمجمة تحت رأسه، فتحدث معها الشياطين
لكى يفزعوه، وبكلام هزء، حتى يفقد هدوء قلبه ... ولم يخف .

كونوا إذن أقوىاء القلب ، وعيشوا فى سلام . لا تخافوا ، وليكن لكم سلام فى قلوبكم .

لكى يحتفظ الإنسان بسلامه واطمئنانه ، ينفعه أن يتذكر قوة الله الحافظة .

يؤمن بأن الله موجود، وأنه يعمل لأجله، كما يؤمن أن كل مشكلة لها حل، وأن الله
عنده حلول كثيرة وغير المستطاع عند الناس، مستطاع عند الله، "وكل شئ مستطاع
للمؤمن" (مر ٩ : ٢٤) .

ولكى يحصل على السلام الداخلى، يتذكر أن ملاك لله حال حول خائفيه وينجيهم،
وأنا محاطون بملائكة كثيرين لحفظنا. وفى الكتاب أمثلة عديدة لهذا . كذلك يتذكر عمل
القديسين وصلواتهم من اجلنا وشفاعتهم فينا ، وأنا لسنا وحدنا . كذلك يتذكر عمل النعمة
والروح القدس فينا .

وفى الإطمئنان ، نتحترس من الإطمئنان الزائف .

مثل مريض بسرطان خطير، يدخلون الإطمئنان إلى قلبه، بأن المرض مجرد كيس
دهنى بسيط...! أو مثل إطمئنان مدير عام لعمل، يشعره دوظفوه بأن كل شئ تمام! ويشق
بذلك دون فحص ...



مِنْ شَمْرِ الرُّوحِ

٤

طَوِيلُ الأَيَّامَةِ

١- عِنْدَ اللَّهِ

هكذا قال القديس بولس الرسول "وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام طول أناة لطف.." (غل ٥: ٢٢، ٢٣) . وهذه الفضائل ترتبط معاً . فالذى عنده محبة، بالضرورة يحيا في فرح وسلام. والذى عنده محبة ، لابد أن يتصف بطول الأناة . وهكذا يقول الرسول أيضاً "المحبة تتأني.." (١كو ١٣: ٤) .

وطول الأناة ، توصف بأنها طول الروح ، وطول البال ، وسعة الصدر، والحلم، والصبر .

فالإنسان الطويل الأناة ، هو إنسان صبور حلیم طويل البال. واسع الصدر ورحب القلب. وقيل في ذلك عن سليمان الحكيم: "واعطى الله سليمان حكمة وفهماً كثيراً، ورحبة قلب كالرمل الذي على شاطئ البحر" (١مل ٤: ٢٩) . وقيل عن موسى النبي "وكان الرجل موسى حلماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد ١٢: ٣) .

طول أناة الله

الله نفسه طويل الأناة طويل الروح .

لولا طول أناة علينا، لهلكنا جميعاً . وطول أناة تتبع من عمق رحمته وحنانه. وفي ذلك يقول داود النبي "الرب رحيم ورؤوف، طويل الروح، وكثير الرحمة" (مز ١٠٣: ٨) . ويقول القديس بطرس الرسول "احسبوا أناة ربنا خلاصاً" (٢بط ٣: ١٥) .

إنه يطيل أناة جداً في معاملة الخطاة .

كم أطل أناة على الأمم - في عبادتهم للأصنام - حتى تابوا أخيراً ورجعوا إليه .. أطل أناة على أهل نينوى، إلى أن صاموا منسحقين أمامه، فقبل توبتهم. وحزن يونان لأن الله لم يعاقبهم ! (يون ٣، ٤) .

أطال أناته مثلاً على فرعون ، الذي وعد مراراً ولم يف .

كم صبر الله عليه في قسوته وإذلاله للناس . وصبر عليه في الضربات ، ليس في واحدة فقط، وإنما في عشر ضربات ... في كل ضربة ، كان يصرخ فرعون ويقول أخطأت (خر ٩: ٢٧) (خر ١٠: ١٦) .. وكان يعد بالتوبة ويرجع .. والله يطيل أناته ...!

إن طول أناة الله، إنما تقتاد الخاطئ إلى التوبة . فإن لم يتب، يتعرض لعقوبة الله . وهكذا ينذر القديس بولس الرسول فيقول للخاطئ "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة. ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً في يوم الغضب" (رو ٢: ٤ ، ٥) .

فلا تظن إذا أخطأت كثيراً ولم تنتك عقوبة، أن عدل الله قد كف عن العمل .

بل ربما إن كأسك لم تمتلئ بعد .. كما قال الرب مرة "لأن ذنب الأموريين ليس إلى الآن كاملاً" (تك ١٥: ١٦) .. كذلك لما اكتمل كأس سادوم ، حرقها الرب بنار" (تك ١٩) .
الله يطيل أناته ، لأن هذه هي طبيعته .

وطول أناته إنما تقتاد إلى التوبة ، أو إلى الدينونة .

ولعل من الأمثلة الجميلة لطول أناة الله، قصة تلك الزينة التي ظلت ثلاث سنوات في الكرم، دون أن تنتج ثمراً وجاءت فكرة قطعها بدلاً من أن تبطل الأرض. ولكن قيل :
"اتركها هذه السنة أيضاً، حتى انقب حولها وأضع زبلاً" .

"فإن صنعت ثمراً، وإلا ففيما بعد نقطعها" (لو ١٣: ٦ - ٩) . حقاً إن طول الأناة تعطى فرصة أخرى، فرصة لإصلاح الحالة .

لقد أطال الرب أناته على الشعب في البرية ، على لرغم من أنه كان شعباً صلب الرقبة، كثير التذمر، كثير التقلب .. قال عنه الله "مددت يدي طول النهار، لشعب معاند مقاوم" (رو ١٠: ٢١) . ومع ذلك أطال أناته عليه، وأبقى منه بقية قال عنها إشعيا النبي "لولا أن رب الجنود أبقى لنا بقية، لصرنا مثل سادوم وشابها عمورة" (أش ١: ٩) .
ومن أمثلة طول أناة الله معاملته لأهل السامرة .

في مرة إحدى قرى السامرة أغلقت أبوابها في وجهه ، لأن وجهه كان متجهاً نحو أورشليم. فقال له تلميذاه يعقوب ويوحنا أتشاء أن تنزل نار من السماء فتقنيهم. أما طول أناة الرب على السامرة فلم تفعل هذا . بل انتهر تلميذيه قائلاً : لستما تعلمان من أي روح

أنتما. لأن ابن الإنسان لم يات ليهلك أنفس الناس ، بل ليخلص" (لو ٩: ٥٢ - ٥٦) . وجاء الوقت الذي خلصت فيه مدينة السامرة، وتعمدت وقبلت الروح القدس (أع ٨: ١٤ - ١٧) .
عجيبة هي طول أناة الله على مضطهدى الكنيسة .

ولعل في مقدمتهم شاول الطرسوسى الذى قال عن نفسه "أنا الذى كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً. ولكنى رُحمت لأنى فعلت ذلك بجهل فى عدم إيمان" (١تى ١: ١٣) . شاول هذا الذى "كان ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب.. حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساءً، يسوقهم موثقين إلى أورشليم" .. (أع ٩: ١ ، ٢) . شاول هذا أطال الله أناته عليه ، حتى أصبح صعباً عليه أن يرفس مناخس. وظهر له فى الطريق إلى دمشق ودعاه إلى خدمته . وأصبح إناءً مختاراً له (أع ٩: ٣ - ١٦) ورسولاً للأمم، وتعجب أكثر من جميع الرسل فى خدمة الله (١كو ١٥: ١٠) .

يقيناً لو لم يطل الله أناته على شاول الطرسوسى، لفقدت الكنيسة هذا الإنسان الجبار فى خدمته ، بولس الرسول .

أطال الله أناته على أريأتوس والى أنصنا، الذى كان قاسياً جداً وعنيفاً فى اضطهاد القديسين أيام ديوقلديانوس الملك، وعلى يديه استشهد كثيرون . وبطول أناة الله أمن أريانوس، بل وصار شهيداً ، تحتفل الكنيسة بذكراه ...
وأطال الله أناته على كثير من الخطاة .

أمثال أوغسطينوس ، ومريم القبطية ، وبيلاجية، ومرسى الأسود، وكثيرين غيرهم، وبطول أناة الله تاب هؤلاء كلهم . بل صاروا أنواراً فى الكنيسة، يبعثون الرجاء فى قلب كل تائب. فاوغسطينوس صار أسقفاً، وأحد معلمى الكنيسة الكبار . وموسى الأسود صار من كبار آباء الرهينة. ومريم القبطية توحدت وصارت من السواح .. ترى لو لم يطل الله أناته على كل هؤلاء، أكانت نفوسهم تهلك؟! وتخسر الكنيسة كل بركاتهم !!..

أيضاً أطال الله أناته على كثير من الملحددين والوثنيين .

أطال أناته على روسيا البلشفية ، حتى عاد أكثر من مائة مليون إلى الإيمان ، وكذلك رومانيا وكثير من بلاد الإتحاد السوفيتى، فآمن كل هؤلاء وفرحوا بالرب . وفى بدء المسيحية أطال أناته على كثير من فلاسفة الوثنية، حتى صاروا فلاسفة مسيحيين. بل أطال أناته على بعض السحرة ، فآمنوا ...

ومثال ذلك أثناسيوس الساحر الذى جهز سماً مميتاً تناوله القديس مارجرس فلم يؤذ. وسيدراخس الساحر الذى جهز سماً للقديس أبا قسطور. فلم يؤذ أيضاً. فأمن كل من هذين الساحرين ، ونالا إكليل الشهادة . كان الله قد أطل أناته على كل منهما . إلى أن أتى الوقت الذى يشعر فيه كل منهما بأن هناك قوة أقوى من سحره فيؤمن ... إن الله ليس فقط يطيل أناته على الخطاة حتى يتوبوا ، إنما أيضاً هو طويل الأناة من جهة تدبير الأوقات ...

إنه يختار الموعد الذى يراه مناسباً ليعمل فيه، ويدبر خطته الإلهية الحكيمة . ولعل من أمثلة ذلك تدبير قضية الفداء ..

لقد وعد أبونا الأولين بأن نسل المرأة سيسحق رأس الحية (تك ٣: ١٥). ومرت آلاف السنين، والحية رافعة رأسها تسحق عقب الآلاف من البشر بل الملايين .. ويطول أناة عجيبة كان الرب ينتظر ملء الزمان الذى يتم فيه التجسد. (غل ٤: ٤) .

طول أناته انتظرت الوقت الذى توجد فيه العذراء القديسة التى تستحق هذا المجد وتحتمله، والوقت الذى يوجد فيه يوحنا المعمدان الذى يهتئ الطريق قدامه، وأيضاً الذى فيه يوجد الإثنا عشر الذين يحملون الرسالة من بعده. وتكون النبوءات كلها قد تمت مع باقى تفاصيل أخرى تجعل اختيار الوقت مناسباً ، وكله حكمة ...

إذن لا يحتج أحد ويقول : لماذا يارب قد تأخر عمل الفداء !؟

كلا ، إنه لم يتأخر مطلقاً ، بل جاء فى نفس مواعده الذى حدده الله من قديم الزمان. وكانت أناة الله تمهد لإعداد كل شئ. وتمهد أيضاً لفهم الناس وقبولهم . ولو كان الفداء قد تم منذ أيام آدم، ما كان أحد قد فهمه ولا قبله ولا آمن به ...

إننا نحاول أن نفهم الأزمنة بعقلنا القاصر . والرب يقول :

"ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه" (أع ١: ٧) .

ليس لنا أن نستعجل الله فى العمل، أو نقول له كما سبق وقال داود فى تعبهِ "اسرع إلى معونتى .. اسرع ولا تبطئ" (مز ٧: ١، ٥) .. لا يا داود ، تأكد أن الله فى طريقه إليك، حتى قبل أن تطلب . وسوف تصل معونته فى أفضل وقت مناسب ...

أنظروا إلى قصة يوسف الصديق مثلاً :

ألقاه أخوته فى البئر، ولم يفعل الرب شيئاً لإنقاذه منهم . وباعوه كعبد ، ويبدو أن الله

لم يتحرك. ثم يُتهم يوسف ظلماً ويلقى به فى السجن، وتمر سنوات.. فهل كان الله قد أهمله وتركه؟! كلا. بل إن الله فى طول أناته، يعدّ ويدبر الأوقات والمناسبات التى يحول فيها يوسف إلى وزير أو أمير.

ولو كان الله قد حلّ مشكلة يوسف، من وقت إلقائه فى البئر، لظل يوسف مجرد راع بسيط..!

الله يعلم أولاده

قلنا إن الله طويل الأناة. ونقول أيضاً إنه يعلم أولاده طول الأناة أيضاً، ويدربهم على ذلك.

اتفق الله مع إيليا على إنزال المطر، بعد ثلاث سنوات ونصف من المجاعة. وذهب إيليا وصلى من أجل ذلك مرة ومرتين وثلاثاً.. إلى سادس صلاة، ولم ينزل المطر! ولم ييأس إيليا، واستمر فى الصلاة بطول أناة. وفى الصلاة السابعة، رأى غيمة فى حجم قبضة اليد (١مل: ١٨: ٤٤). فعرف أن صلاته قد استجيبت...





مِنْ شَمْرِ الرُّوحِ

٤

طَوَّلَ الْأَيَّامَ
بِـ عِنْدَ الْيَسْرِ

تكلما عن طول الأناة عند الله. ونود أن نتكلم الآن عن طول الأناة عندنا نحن البشر. مادمننا قد خلقنا على صورة الله، كشبهه ومثاله (تك ١: ٢٦، ٢٧)، إذن ينبغي أن نكون شبيهه في طول الأناة .

من منا لم يطل الله أناته عليه ، ولم يأخذه وهو في عمق خطاياها؟! ليتنا إذن نتعامل مع الناس بنفس الأسلوب، بطول الأناة . لأن الكتاب يقول "بالكيل الذى به تكيلون، يُكال لكم" (مت ٧: ٢) ..

فى التعامل

هناك من يتضايق من معاملات الناس وأسلوبهم الذى لا يستطيع أن يحتمله. يقول نقد نبهت فلاناً من الناس أن يغير أسلوبه فى التعامل معى ، ولم يغيره! وربما تقول زوجة هذا الكلام عن زوجها .

وللناس طباع يحتاجون فى تغييرها إلى طول أناة .

ليس من السهل عليهم أن يغيروا طباعهم بسرعة .. ربما يريدون ولا يستطيعون . وقد يغلبهم الطبع فتتكرر أخطاؤهم عن قصد أو غير قصد. وقد لا يشعرون أن ما يفعلونه خطأ ...

عاش التلاميذ مع السيد المسيح أكثر من ثلاث سنوات. يتعلمون منه . وكما قال لهم "تعلموا منى، فإنى وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩). ومع ذلك فإنه عند القبض عليه، ضرب بطرس عبد رئيس الكهنة بالسيف، فقطع أذنه (يو ١٨: ١٠) فوبخه السيد قائلاً: رد سيفك إلى غمده، لأن الذين يأخذون بالسيف، بالسيف يهلكون" (مت ٢٦: ٥٢) .

إن القديس بطرس الرسول لم يستطع أن يقاوم طبع الإندفاع الذى كان عنده ، وغلب

منه مرات. واحتاج إلى طول أناة من الرب أن يحتمله، حتى وقت غسل الأرجل (يو ١٣: ٦-١٠). وبنفس الإندفاع تكلم وأخطأ حينما قال السيد المسيح إنه سوف "يتألم كثيراً من الشيوخ وروساء الكهنة والكتبة، ويقتل وفي اليوم الثالث يقوم" (مت ١٦: ٢١). كل التلاميذ سكتوا، أما بطرس فلم يستطع أن يقاوم اندفاعه، وانتهر السيد قائلاً "حاشاك يارب". فويحه الرب على ذلك .

القديس موسى الأسود أيضاً احتاج إلى طول أناة عجيبة من معلمه القديس أيسوذورس، حتى يتغير طبعه وحتى يصير قديساً ثابتاً وديعاً ومعلماً لكثيرين ... بطول الأناة ، لا يملكننا الغضب على الخطاة .

وفي هذا قال الكتاب "ليكن كل إنسان مسرعاً في الإستماع، مبطناً في التكلم، مبطناً في الغضب. هذا الإبطاء يعنى طول الأناة في الإستماع إلى الناس، وإعطاء فرصة للعقل أن يتدبر الأمر في حكمة، ويهدئ نفسه فلا يخطئ ... الإنسان الطويل الأناة هو إنسان بطئ الغضب .

إن الله كان يطيل أناته علينا، لأنه يعرف ضعف طبيعتنا .

يقول داود النبي في ذلك "لا يحاكم إلى الأبد، ولا يدقد إلى الدهر . لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا.. لأنه يعرف جبلتنا. يذكر أننا تراب نحن" (مز ١٠٣: ٩-١٤). فليتنا نعامل بعضنا بعضاً بنفس الأسلوب، بطول أناة، واضعين أماننا ضعف الطبيعة البشرية وإمكانية سقوطها. فقد قيل عن الخطية إنها "طرحت كثيرين جرحى، وكل قتلها أقوياء" (أم ٧: ٢٦) .

فى التربية والخدمة

البعض يتعب وقد ييأس ، إن لم تأت الخدمة ثمارها بسرعة. وقد يصفها - ظالماً - بأنها خدمة فاشلة. بينما تحتاج إلى طول بال لتتمو فى هدوء .. كم من السنين قضى المسيح فى خدمة التلاميذ وإعدادهم . وبعد أكثر من ثلاث سنين، أمرهم أن لا يبرحوا أورشليم حتى يلبسوا قوة من الأعلى (لو ٢٤: ٤٩) .

تأمل الشجرة كيف أنها لا تعطى ثمراً إلا بعد سنوات :

والغارس يطيل أناته عليها حتى "تعطى ثمرها فى حينه" . وكل شجرة لها طبيعتها .

فمنها التي تثمر بعد ثلاث سنوات، والتي تعطى ثمراً بعد خمس سنوات أو بعد سبع .
والغارس في كل ذلك الانتظار لا يقلق، بل يتدرب على طول الأناة .
الطفل هو تدريب آخر في طول الأناة .

المرأة تحبل . وتظل ٩ أشهر في إنتظار ولادة طفلها . الذي ينمو تدريجياً في بطنها ،
حتى يكتمل نموه فيخرج . وقد ترك هذا الأمر تأثيره في القديس يوحنا ذهبى الفم ، فقال :
إن كان الجنين يأخذ فترة حتى ينمو جسدياً، فكم بالأولى الإنسان لينمو روحياً، يحتاج إلى
زمن وطول أناة .

كذلك فالطفل يحتاج إلى فترة حتى يتكلم وحتى يمشى وحتى يتعلم. ونحن لا نطالبه بما
هو فوق مستواه، بل نطيل آثاقنا عليه. ونفرح بتدرجه في القامة وفي المعرفة .

أيضاً يلزم طول الأناة في الكرازة والخدمة والتعليم

وكما قال القديس بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس "عظ بكل أناة وتعليم" (٢تى ٤: ٢) .
ذلك لأن الناس قد لا يحتملون أحياناً الدرجات العالية في الروحيات إن كانوا لم ينضجوا
بعد. وهكذا قال الرسول لأهل كورنثوس "سقيتكم لبناً لا طعاماً لأنكم لم تكونوا بعد
تستطيعون. بل الآن أيضاً لا تستطيعون . لأنكم بعد جسديون" (١كو ٣: ٢، ٣) . وبنفس
الأسلوب وطول الأناة ، رأى الآباء الرسل "ألا يثقل على الراجعين إلى الله من الأمم. بل
يُرسل إليهم أن يمتنعوا عن رجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم" (أع ١٥: ١٩ ، ٢٠) .
والسيد المسيح له المجد وبخ الكتبة والفريسيين "لأنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة
الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس" (مت ٢٣: ٤) .

لذلك فالمستويات العالية من التعليم، لا تُعطى لكل أحد .

وإنما التدرج أو الأناة في التعليم، هو الذي يأتي بنتيجة . وإن لم يستطع البعض أن
يمارس تدريبات روحية معينة، فلا تقسوا عليهم ولا تنتهروهم بشدة ، إنما اصبروا عليهم
وشجعوهم وكما قال الرسول :

"شجعوا صغار النفوس. اسندوا الضعفاء. تأنوا على الجميع" (١تس ٥: ١٤) .

فإن خدم خدام فصلاً، ووجد تلاميذه لا يتحسنون بسرعة، فلا ييأس، ولا يتهم نفسه
بأنه لا يصلح للخدمة. كما لا يتهم المخدمين بأنه لا فائدة ترجى منهم! كلا، يا أخي، ليس
العيب فيك ولا فيهم . إنها طبيعة الخدمة تحتاج إلى وقت وطول بال . لذلك تأن عليهم،

ولا تظن أن طباع الناس تتغير فجأة بكلمة أو بنصيحة !

إن الدجاجة تلزمها فترة تحتصن فيها البيض ، حتى ينضج وتخرج فراخه. والبيذار لا بد أن تقضى فترة فى الأرض، حتى تخضّر وتتمو، وتصير شجراً وتثمر. وكل هذا يحتاج إلى طول بال وانتظار ...

فانتظر إذن واصبر . فإن الكتاب يقول :

"من يصبر إلى المنتهى ، فهذا يخلص" (مت ١٠ : ٢٢) .

ويقول أيضاً "بصبركم تقتنون أنفسكم" (لوقا ٢١ : ١٩) .

لقد قال داود النبي "انتظرت نفسى الرب ، من محرس الصبح حتى الليل" (مز ١٣٠ :

٦ ، ٧) . يقصد من البداية حتى التمام، بكل طول أناة .

فى الصلاة

الإنسان الطويل الروح يصلى ، ولا يقلق من جهة استجابة الله لصلاته . يكفى أن الله قد سمعها . نترك الأمر إذن لمحبهه ... هو يستجيب الصلاة فى الوقت المناسب، وبالطريقة المناسبة، حسب حكمته وحسن تدبيره وتقديره للأوقات ...

هناك أشخاص ليس لهم طول أناة فى الصلاة . لا ينتظرون الرب . ومع ذلك يعاتبون الله كثيراً . ويكادون يغطونه أحياناً !!

ويقولون : يارب أنت .. وأنت ... وهو يطيل أناة عليهم وعلى عتابهم ..

يحتاج الأمر منهم إلى إيمان بعمل الرب لأجلهم ...

أحياناً يتباطأ الرب فى الإستجابة ، أو يخيل إلينا أنه تباطأ . وذلك لكى يدرّبنا على الصبر والإيمان . فلا يأتى إلا فى الهزيع الأخير من الليل .. ولا يفقد العمال إلا فى الساعة الحادية عشرة من النهار ! (مت ٢٠ : ٦ ، ٧) . كل ذلك لكى يعلمنا أن ننتظر الرب، ولكى نتدرب على طول البال ، هذه الصفة التى هى من صفات الله ...

أحياناً يبدو الله طويل البال فى حلّ المشاكل !!

ذلك لأن صاحب المشكلة يكون قلقاً ومنزعجاً ، ويريد حلّها فى التوّ واللحظة. وليس لديه طول بال ولا صبر على حل المشكلة.. بينما يكون الله قد استلم المشكلة، وبدأ فعلاً فى حلّها ، بالأسلوب الذى يتناسب مع حكمته فى التدبير ...

طول بال الله ، إنما يفودك إلى اللجاجة في الصلاة ، وليس إلى القلق ...

مضار عدم طول الأناة

الإنسان الذي ليس له طول البال، يقع في القلق والضجر والإنزعاج. وتتعب نفسيته، ويفقد سلامه الداخلي ...

يقلق بسرعة ، كشخص في كل دقيقة أو لحظة ينظر إلى الساعة !

★ وقد يصاب بالإندفاع والتسرع، مما يسبب له نتائج رديئة!

★ والذي ليس له صبر، ولا طول أناة، ربما في تسرعه يأخذ قرارات أو مواقف ارتجالية أو هوجائية. كالشخص الذي يرى أن الله لم يستجب صلواته، فيقسم أنه لن يدخل الكنيسة!! إحتجاجاً منه على الله !..

★ قد يفود القلق وعدم طول البال إلى الإعتماد على الذراع البشرى والحكمة البشرية الخاطئة .

مثال ذلك حينما ظن أبونا إبراهيم أن الله لم يعطه نسلأ حسبما وعده ، فلجأ إلى الحكمة البشرية ليتخذ هاجر زوجة له تحب له إنناً (تك ١٦ : ١ - ٤) .. أو لم يجد أن نسله لم يصر مثل نجوم السماء في الكثرة، فأخذ قطورة زوجة فولدت له بنين كثيرين (تك ٢٥ : ١ - ٤) .

والعجيب أن الطرق البشرية قد تأتي بنتائج سريعة، ولكنها ليست حسب مشيئة الله، التي قد تتأخر ولكن في حكمة وبركة ومنفعة .

طريقة الله هادئة ، وتسير خطوة خطوة ، حتى تصل بسلام ..

★ هناك أشخاص ليس لهم طول بال حتى في الكلام مع الناس. فيقاطعون غيرهم، ولا يستطيعون أن ينتظروا إلى أن ينتهى مخاطبهم من كلامه لكي يتابعوه بعد ذلك .

★ وقوم ليس لهم طول بال في حل مشاكلهم ، فيلجأون إلى أهل السحر والشعوذة، لعلهم يجدون عندهم العون والحل!!

ما أكثر أخطاء الذين ليس لهم أناة وطول روح ...



مِنْ شَرِّ الرُّوحِ

٥

اللُّطْفُ

هكذا قال الكتاب "وأما ثمر الروح فهو محبة فرح سلام، طول أناة لطف..". وقد تحدثنا في الأبواب السابقة عن المحبة والفرح والسلام، ونود أن نحدثك الآن عن اللطف...

قال الرسول عن السيد الرب "...أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة" (رو ٢: ٤). إذن من لطف الله أنه يطيل أناة علينا، لكي بلطفه وطول أناته يقتادنا إلى التوبة.. ويقول الرسول أيضاً "حين ظهر لطف الله مخلصنا وإحسانه، لا بأعمال في بر عملناها نحن، بل بمقتضى رحمته خلصنا بغسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس" (تى ٣: ٤، ٥). إذن مغفرة الله التى قدمها لنا فى الفداء والمعمودية هى دليل على لطفه ورحمته وأحسانه...

اللطف هو من صفات الله فى معاملته للبشر. وهو أيضاً من صفات رسله.

وهكذا قال القديس بولس الرسول فى خدمته للرب هو وجميع العاملين معه "فى كل شئ نُظهر أنفسنا كخدام الله فى صبر كثير.. فى أتعاب فى أسهار فى أصوام، فى طهارة فى علم، فى أناة فى لطف..". (٢كو ٦: ٤-٦).

ودعانا الآباء الرسل إلى السلوك بلطف:

فقال القديس بولس الرسول "كونوا لطفاء بعضكم نحو بعض" (أف ٤: ٢٢). وقال أيضاً "لبسوا كمختارى الله القديسين المحبوبين أحشاء رافات ولطفاً وتواضعاً ووداعة وطول أناة" (كو ٣: ١٢). وهنا نلاحظ أن هذه الفضائل ترتبط ببعضها البعض: اللطف مع الوداعة والتواضع والرأفة وطول الأناة.

ويقول القديس بطرس الرسول "كونوا جميعاً متحدين فى الرأى، بحسن واحد، ذوى محبة أخوية، مشفقين لطفاء، غير مجازين عن شرّ بشر، أو عن شتيمة بشتيمة، بل

ولعلنا هنا نسأل : ما هو اللطف وصفاته ؟ وكيف يسلك اللطفا ؟

اللطف هو كل هذه الفضائل التي ذكرها الكتاب مجتمعة .

هو ثمرة طبيعية لحياة الوداعة والرقة والبشاشة والإتضاع، والبعد عن الخسونة والعنف والقسوة والتعالى . ومادام هو من ثمر الروح، إذن فهو من ثمر "الروح الوديع الهادئ" (ابط ٣: ٤) . وهكذا يكون الإنسان اللطيف .

هناك أشخاص - للأسف الشديد - يظنون أن الحياة الروحية هي مجرد صلاة وصوم، بينما يسلكون بطريقة منفرقة في معاملة الآخرين!! ولكنني أقول : إن لم تكن لطيفاً في تعاملك، فأنت شخص غير متدين على الإطلاق . ذلك لأن اللطف من ثمر الروح كما يقول الكتاب (غل ٥: ٢٣) . فالذي ليس في حياته هذا الثمر - أي اللطف - لا يكون إنساناً روحياً، لأنه لا يسلك بطريقة روحية .. كونوا إذن "لطفاً بعضكم نحو بعض" (اف ٤: ٢٢) .

هذا اللطف نراه في معاملة الأب مع الابن الضال، وأخيه الضال الأكبر .

الابن الضال جاء إلى أبيه يطلب منه أن يعطيه نصيبه من الميراث! فلم ينتهره الأب ولم يقل له : كيف هذا يا ابني!؟ كيف ترثني وأنا حي!؟ إنما بكل لطف وهدوء قسم ماله وأعطاه نصيبه ... ولما أنفق هذا المال بعيش مسرف ، واحتاج وجاع ، وعاد إلى أبيه معترفاً بأنه أخطأ، قبله الأب بفرح، بل لما رآه من بعيد ، وقبل أن يعترف "تحنن الأب، وركض ووقع على عنقه وقبله" (لو ١٥: ٢٠) . وألبسه الحلة الأولى، وجعل خاتماً في أصبعه، وذبح له العجل المسمن، وفرح برجوعه .. أي لطف هذا في المعاملة .

باللطف لم يكسر نفسه في رجوعه ، ولم يخجله ، ولم يوبخه .

وأيضاً الابن الأكبر حينما غضب لإكرام أخيه العائد ، ورفض أن يدخل البيت وأن يشترك في الفرح بعودة أخيه .. ولكنه تمادى واتهم الأب بالبخل وعدم العدل، وقال له "ها أنا أخدمك سنين هذا عددها ، وقط لم أتجاوز وصيتك . وجدياً لم تعطيني لأفرح مع أصدقائي . ولكن لما جاء ابنك هذا الذي أكل معيشتك مع الزواني، ذبحت له العجل المسمن!!" . ولم يغضب الأب لهذا العتاب القاسي بكل ما فيه من أخطاء . وبكل لطف أجابه "يا ابني أنت معي في كل حين . وكل مالي فهو لك . ولكن كان ينبغي أن نفرح

ونسرّ، لأن أذاك هذا كان ميتاً فعاش، وكان ضالاً فوجد" (لو ١٥ : ٢٥ - ٣١) .

لم يحاسبه ولم يعاتبه على اتهاماته له ولأخيه ، وإنما في لطفه، ردّ عليه إيجابياً "أنت ابني" "كل مالي فهو لك" "كان ينبغي أن نفرح..".

القلب العامر باللطف لا يوبخ كثيراً. وإن وبخ لا يستخدم كلاماً جارحاً .

ولنا مثال على ذلك موقف سيدنا يسوع المسيح من تلميذه بطرس الذي أنكره ثلاث مرات، وسبّ ولعن وقال عنه :لا أعرف الرجل (مت ٢٦ : ٦٩-٧٤) . فلما التقى به الرب بعد القيامة، وأراد أن يوبخه على إنكاره، لم يذكره بأنه أنكره ثلاث مرات، وأنه حلف وسب ولعن وقال لا أعرف الرجل! وإنما قال له ثلاث مرات "يا سمعان بن يونا، أتحنى أكثر من هؤلاء" . وفي كل مرة يجيب فيها بطرس بعبارة "إني أحبك، كان يقول له "إرع غنمي" أو "إرع خرافي" . وأحس بطرس بهذا التوبيخ اللطيف وحزن. وقال له "يارب، أنت تعلم كل شيء. أنت تعرف أني أحبك" (يو ٢١ : ١٥ - ١٧) .

حقاً . إن القلب العامر باللطف ، يكسب الناس بلطفه .

لقد استطاع الرب أن يكسب زكا العشار، والمرأة السامرية، والخاطئة المضبوطة في ذات الفعل، وتلك التي بللت قدميه بدموعها ومسحتها بشعر رأسها .. كل أولئك كسبهم باللطف . عاملهم بلطف. لم يوبخ أحداً منهم، ولم يستخدم التوبيخ والكلام القاسي ...

ما أشد قسوة بعض (المتدينين) في معاملتهم للخاطئة ، أو من يظنونهم خطاة! وما أكثر ما يستخدمون من عبارات جارحة في توبيخهم! ويحسبون أن هذه غير مقدسة منهم وشهادة للحق! وأنهم يقودونهم بهذا إلى التوبة . ولكن السيد المسيح لم يكن هكذا، بل قيل عنه :

"لا يخاصم ولا يصيح، ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قسبة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفئ" (مت ١٢ : ٢٠) (إش ٤٢ : ٣) .

لم يذكر زكا العشار بشئ من كل أخطاء ماضيه.. بل وسط الزحام، وقف عنده بالذات، وناداه باسمه ، ودعا نفسه أن يدخل بيته ويبيت عنده. ولما "تذمر الجميع قائلين إنه دخل ليبيت عند رجل خاطئ" . دافع السيد المسيح عن زكا قائلاً إنه هو أيضاً ابن لإبراهيم. وأعلن أنه "اليوم حصل خلاص لهذا البيت" (لو ١٩ : ٥ - ٩). ترى لو وبخ زكا، أكان سيكسبه؟! كلا، بل باللطف قد كسبه ...

فرق كبير بين القسوة التي توبخ الإنسان على خطاياها، وبين اللطف الذي يجعل الخاطئ من تلقاء ذاته يعترف بخطاياها ويتوب عنها .

وهذا هو ما حدث مع زكا . لم يقل له السيد إنه خاطئ، بل قد جعله مستحقاً أن يبني الرب في بيته، على الرغم من سمعته الرديئة . وبهذا اللطف قال زكا "ها أنا يارب أعطى نصف أموالى للمساكين. وإن كنت قد وشيت بأحد، أرذ أربعة أضعاف" (لو ١٩ : ٨) .
وبالمثل في معاملة الرب للسامرية :

لم يوبخها على خطاياها وسيرتها البطالة . ولم يلقي عليها درساً في التوبة والعفة .. إنما بكل لطف، حدثها عن الماء الحي، وعن السجود لله بالروح والحق (يو ٤ : ١٤ ، ٢٣) .
وبلطف أيضاً استدرجها إلى الإقرار . قال لها "ذهبى وادعى زوجك" ولم يكن هو زوجها . إنما علاقة ذلك الرجل بها، علاقة لا توصف إلا بكلمة جارحة لم يسمح الرب أن يقولها لكيلا يخذش شعورها . بل قال "حسناً قلت إنه ليس لك زوج . لأنه كان لك خمسة أزواج . والذي لك الآن ليس هو زوجك . هذا قلت بالصدق" (يو ٤ : ١٦ - ١٨) .
وهكذا جعل الإقرار المتعب بين مديحين: سبقه بعبارة مديح هي "حسناً قلت" .
وختمه بعبارة مديح "هذا قلت بالصدق" .

فعلى الرغم من حياتها الخاطئة ، وجد فيها شيئاً يستحق المديح، فمدحها عليه . وبهذا اللطف اقتادها إلى التوبة ، بل إلى الإيمان أيضاً ، وإلى التبشير بهذا الإيمان .. فقالت له المرأة "يا سيد، أرى أنك نبي" . وذهبت تبشر به بين شعبها قائلة "تعالوا أنظروا إنساناً قال لي كل ما فعلت . أعل هذا هو المسيح" (يو ٤ : ٢٩) ... وهكذا كسبها المسيح وكل أهل مدينتها إلى الإيمان (يو ٤ : ٤٢) .

وبنفس اللطف عامل السيد الرب المرأة المضبوطة في ذات الفعل .

كان الكتبة والفريسيون حولها كالوحوش يريدون رجمها ، ويريدون منه أن يوافق على ذلك حسبما تقول الشريعة . أما هو - فبكل لطف - دافع عن هذه المرأة الذليلة الخجلى . ووبخ المطالبين برجمها قائلاً لهم "من كان منكم بلا خطية، فليرمها أولاً بحجر" (يو ٨ : ٧) . "وانحنى إلى أسفل ، وكان يكتب على الأرض" . ولعله كان يكتب على الأرض خطايا كل منهم . نعم، إن كانت هذه المرأة قد ضبطت في ذات الفعل ، فلا بد أنه كان هناك رجل يخطئ معها في ذات الفعل أيضاً . وكما قال الشاعر فؤاد بليبل عن مثل هذه المرأة :

كذبوا فإن الذنب ذنب المشتري

ودعوك بائعة الأثيم من الهوى

ويعد أن أنقذ السيد هذه المرأة من الذين أذنبوها، ومضوا جميعاً.. قال لها "وأنا أيضاً لا أدينك. اذهبي ولا تعودي تخطئي أيضاً" ...
ما كان ممكناً لهذه المرأة أن تجد شخصاً لطيفاً كهذا، ينقذها من الرجم، ويدين طالبي رجمها فينصرفون . ويقول لها "ولا أنا أدينك..".

وبنفس اللطف عامل الخاطنة التي غسلت قدميه بدموعها .

لم يقل لها كلمة واحدة جارحة، بل قال لها مغفورة لك خطاياك (لو ٧: ٤٨) . وأظهر لسمعان الفريسي الذي انتقدها إنها أفضل منه، وأنها قد أحبت كثيراً، لذلك غفر لها الكثير. وذكر لها فضائلها . وهكذا فإن الرب بلطفه قد وجد فيها أشياء يمكن إمتداحها بسببها. ثم قال لها أخيراً: "إيمانك قد خلصك. اذهبي بسلام" (لو ٧: ٥٠) .

حقاً إن اللطف يكتشف النقط البيضاء فيمتدحها ، ولا يركز على النقط السوداء .

تحضرنى بهذه المناسبة قصة مدير مدرسة للطيران ...

كان قد أعد الطلبة للامتحان النهائي العملي للتخرج . وصعد أحد الطلبة بالطائرة ، وإذا بزمامها يفلت من يده، وبدأت تتأرجح في الهواء بطريقة مخيفة . وشعر قائدها بأنه قد فشل في الإمتحان ولا بد سيرفت من المدرسة، فعلى الأقل فينقذ نفسه من الموت. وهكذا جاهد حتى نزل بها إلى الأرض سالماً .. واقبل إليه مدير المدرسة ، وقد توقع أن يسمع منه قرار الفصل. ولكن مدير المدرسة شدّ على يده بحرارة وهو يهنئه قائلاً "على الرغم من خطورة الموقف، فإنك نجحت في أن تنزل بالطائرة سالماً كأهم طيار رأيته في حياتي" .. وبهذا الكلمات اللطيفة ، أدخل الطمأنينة إلى نفسه . ثم قدّم له بعض النصائح ..

إن القلب اللطيف لا يحتقر الضعفاء ، بل يسندهم .

وهكذا يقول الكتاب "شجعوا صغار النفوس . اسندوا الضعفاء .

تأنوا على الجميع" (١ تس ٥: ١٤) . نعم، لولا هذه المعاملة من الله لنا، لهلكنا جميعاً. إنه يقول في مسألة المديونين اللذين على أحدهما خمسمائة دينار وعلى الآخر خمسون "وإذ لم يكن لهما ما يوفيانه، سامحهما جميعاً" (لو ٧: ١٢). إنه لم يحتقر أورشليم المدوسة بدمها، بل غسل عنها دماءها ، ومسحها بالزيت ، وجعل تاج جمال على رأسها، فصلحت لمملكة" (خر ١٦: ٦-١٣) .

بل إن الرب يعذر المخطين - بلطفه - ويوجد لبعضهم عذراً .

التلاميذ الثلاثة الذين كانوا معه في بستان جثيمانى، ولم يستطيعوا أن يسهروا معه ساعة واحدة، عذرهم قائلاً "أما الروح فنشيط. وأما الجسد فضعيف" (مت ٢٦: ٤١). فعلى الرغم من نومهم، قال لهم بلطفه: "أما الروح فنشيط. والتمس لهم عذراً من جهة ضعف الجسد ...

وفى (مزمور ١٠٣) يقول الكتاب عن لطف الله وتحننه "لم يصنع معنا حسب خطايانا، ولم يجازنا حسب آثامنا" لماذا؟ "لأنه يعرف جبلتنا. يذكر أننا تراب نحن". وبنفس اللطف تصلى الكنيسة فى أوشية الراقيدين، تطلب لهم الرحمة "إذ لبسوا جسداً، وسكنوا فى هذا العالم.."

إن الله بلطفه، يقدر ظروف الناس، وطبيعتهم الضعيفة، فيغفر ... إنهم مجرد تراب، أثارتهم الريح، فتحولوا إلى غبار فى الجو. يصير عليهم بعض الوقت، حتى تهدأ الريح، فيستقرون ...

الله فى لطفه، يسمح لأولاده أن يعاتبوه أو يجادلوه. وقد يشتدون فى كلامهم، فلا يغضب. وإنما بكل لطف يعطيهم فرصة للتعبير عما فى داخلهم بكل حرية .

ما أعجب أن يقول له ابراهيم أبو الآباء - فى شفاعته عن سادوم - "أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟! حاشا لك يارب أن تفعل هذا الأمر: أن تميمت البار مع الأئيم. فيكون البار كالأئيم! حاشا لك" (تك ١٨: ٢٥) ... ثم يبدأ التفاوض. إن وُجد فى المدينة خمسون باراً.. إن وجد ٤٥.. إن وجد أربعون .. حتى وصل التفاهم إن وُجد عشرة ابرار، لا يهلك الله المدينة من أجل العشرة (تك ١٨: ٢٦-٣٢) .. كل هذا والرب فى لطف شديد يتلقى مفاوضة ابراهيم، ويفسخ له المجال إلى آخر حد، حتى توقف ...
نفس اللطف فى تشفع موسى إلى الله لأجل الشعب .

كانوا قد عبدوا العجل الذهبى الذى صنعوه، بعد كل المعجزات التى رأوها من الرب فى مصر وفى البرية .. وغضب عليهم الرب حتى أراد أن يفتيهم. وهنا تدخل موسى ليشفع فيهم. فقال للرب: لماذا يارب يحمى غضبك على شعبك؟! لماذا يقولون أخرجهم بحيث ليقتلهم فى الجبال ويفتيهم على وجه الأرض. أرجع عن حمو غضبك واندم على الشر (خر ٣٢: ١١، ١٢). ويسمع الرب هذا الكلام، ولا يتضايق بل يعفو ...

وارميا النبي يقول : أبر أنت يارب من أن أخاصمك . ولكنى اكلمك من جهة أحكامك .
لماذا تتجح طريق الأشرار . إطمأن كل الغادرين غدرأ (أر ١٢ : ١) .

لم يقل الله : من هو هذا التراب ، حتى يكلمنى من جهة أحكامى؟! بل كيف ينسب إلى
نجاح طرق الأشرار ، أو حتى السكوت على ذلك!! .. إنما استمع له فى لطف وأراحه ...
ظهر لطف الله أيضاً فى معاملة يونان النبي .

لم يرفضه بسبب عصيانه له ، بل اقتاده إلى الطاعة بحكمة ، وانقذه من بطن الحوت ،
وأعاده إلى رسالته فى أنذار نينوى . ولما تابت نينوى ولم يعاقبها الله "وغم ذلك يونان غماً
شديداً فاغتاط" وطلب لنفسه الموت ... عاتبه الله بلطف قائلاً "هل اغتطت بالصواب؟"
(يون ٤ : ١ ، ٤) . واجتذبه بما حدث لليقطينة . وشرح له لماذا قبل توبة نينوى .

حقاً إنه بالعنف قد يخسر الشخص أعباءه ، بينما باللطف يكسب أعداءه .

هنا وأقول إن للطف حدوداً . فإن لم يوصل إلى هدفه تبدأ العقوبة .

وهكذا يقول الرسول "هوذا لطف الله وصرامته . أما الصرامة فعلى الذين سقطوا . أما
اللطف فلك ، إن ثبت فى اللطف . وإلا فأنت أيضاً سنقطع " (رو ١١ : ٢٢) . وفى هذا
المجال نذكر مثل تلك الشجرة التى لم تعط ثمرأ على مدى ثلاث سنوات وهى تبطل
الأرض . فلما أراد الكرام قطعها ، قال صاحب الكرم فى لطف "اتركها هذه السنة أيضاً ،
حتى أنقب حولها وأضع زبلاً . فإن صنعت ثمرأ ، وإلا ففيما بعد نقطعها" (لو ١٣ : ٦-٩) .
اللطف فى تركها هذه السنة أيضاً" والصرامة هى فى قوله "وإلا ففيما بعد نقطعها" .





مِنْ شَمْرِ الرُّوحِ

٦

الصَّرَاحُ

نتابع حديثنا عن ثمر الروح كما ورد في (غل ٥: ٢٢، ٢٣) .

فتحدث عن الصلاح . ولكن كيف يمكن أن يتصف إنسان بالصلاح، بينما يقول الكتاب "ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله" (مت ١٩: ١٧) ١٤ المقصود طبعاً هو الصلاح النسبي ، وليس الصلاح المطلق الذي هو من صفات الله وحده .

والمقصود بالصلاح النسبي ، أية نسبة لمدى عمل الروح القدس في الإنسان، ومدى إستجابة الإنسان لعمل الروح وشركته مع الروح القدس . تماماً مثلما نفسر قول الرب "كونوا كاملين كما أن أباكم الذي في السموات هو كامل" (مت ٥: ٤٨) بأن المقصود هو الكمال النسبي ، لأن الكمال المطلق هو من صفات الله وحده ...

وحيثما نتكلم عن الصلاح ، نذكر أنه على نوعين : صلاح سلبي، وصلاح إيجابي .
الصلاح السلبي هو البعد عن الخطايا، وتمثله غالبية الوصايا العشر، مثل : لا تكن لك آلهة أخرى أمامي . لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً .. لا تتطوق باسم الرب إلهك باطلاً .. لا تقتل . لا تزني . لا تسرق . لا تشته مال قريبك ...

أما الصلاح الإيجابي ، فتمثله التطويبات في العهد الجديد: طوبى للمساكين بالروح، للودعاء، لأنقياء القلب، لصانعي السلام، للرحماء. ويمثله في العهد القديم : "تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك" (تث ٦: ٥) . وتمثله أيضاً ثمار الروح التي نتحدث عنها .

والمطلوب من الإنسان أن يسلك في الأمرين معاً : البعد عن كل أنواع الخطايا من الناحية السلبية، والسلوك في كل الفضائل إيجابياً .

الإنسان الذي يصل إلى كمال الصلاح ، يشمئز من الخطية وينفر منها فإن قل

صلاحه، يكون بينه وبين الخطيئة أخذ ورد. أما إن فقد صلاحه ، فإنه يلتذ بالخطيئة ويستسلم لها، بل قد يسعى إليها ...

إذن لكي يحيا الإنسان في حياة الصلاح ، ينبغي أن يصل إلى المرحلة التي ينفر فيها من الخطيئة، كما قال يوسف الصديق "كيف اعمل هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله؟! (تك: ٣٩: ٩). ويعبر عن هذا أيضاً قول القديس يوحنا الرسول في رسالته الأولى إن المولود من الله لا يستطيع أن يخطئ (١يو: ٣: ٩) .

وفعلاً ، هناك أشياء لا يستطيع الإنسان الروحي أن يفعلها .. لا يستطيع أن يلفظ كلمة نابية بذينة، لا يستطيع أن يكذب، بل إنه يحتقر نفسه إن فعل ذلك. لا يستطيع أن يقوم بأى عمل غير مهذب... وبالتالي كلما نما في الصلاح يجد أنه عموماً لا يستطيع أن يخطئ... هناك عيب من جهة السلوك في الصلاح أن يحكم الإنسان على بعض الخطايا بأنها خطايا بسيطة!! فيتساهل معها!!

الخطيئة هي الخطيئة سواء حكم عليها الشخص بأنها بسيطة أو كبيرة. وهكذا يقول الرب : من قال لأخيه يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم (مت: ٥: ٢٢) . وهكذا في باقي خطايا اللسان، يقول "بكلامك تتبرر، وبكلامك تدان" (مت: ١٢: ٣٧) .

حقاً ، إنه توجد خطيئة أشع من خطيئة . ولكن كلاً منها تنتافي مع الصلاح. فالإنسان الصالح لا يرتكب هذه ولا تلك . فالرسول يأمرنا أن نسلك بتدقيق (١ف: ٥: ١٥) .

ما معنى أن الصلاح من ثمر الروح ؟

له بلاشك معنى مزدوج . فهو من ثمر عمل الروح القدس في قلب الإنسان . ومن ثمر روح الإنسان في إستجابتها لعمل الروح القدس فيها . أو هو ثمر لشركة الروح القدس، أي لمشاركة روح الإنسان لروح الله القدوس ، في الرغبة وفي العمل ...

ماذا إذن عن صراع الإنسان مع الخطيئة ؟

هل نقول عن مثل هذا الإنسان إنه صالح ؟ إن القديس بولس الرسول يدعو إلى هذا الصراع، ويسميه جهاداً . فيلوم العبرانيين قائلاً "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مجاهدين ضد الخطيئة" (عب: ١٢: ٤) . إذن فالصراع ضد الخطيئة أمر صالح يقود إلى الصلاح ، حينما ينتصر الإنسان على الخطيئة ، ويصل إلى محبة الخير التي لا تحتاج إلى صراع ...

على أننا ينبغي أن نفرق بين نوعين من الصراع :

صراع ضد خطية تحاربه من الخارج . وهذا يحدث للقديسين من حسد الشيطان وحرابه. وهو صراع لا يتناقى مع الصلاح ، بل أنه يدل على صلاح الإنسان، وعدم قبوله للخطية التي تحاربه. المهم أنه لا يستسلم ، بل يقاوم حتى الدم مجاهداً ضد الخطية . النوع الثاني من الصراع أن يصارع الإنسان ضد خطية تأتيه من داخله، من قلبه، من فكره، من مشاعره. وهذا يدل على أن الداخل لم يصل إلى التقاوة بعد. لم يصل إلى الصلاح بعد، بل يجاهد لكي يصل إليه. إنه صراع صالح، من قلب يريد أن يكون صالحاً.

الخطية بشعة ، الأبرار يشتمزون منها. لذلك يحترس الخاطئ من ارتكابها أمام الصالحين. بل يرتكبها في الظلام ، في الخفاء .

فإن كان الصالحون يشتمزون من الخطية، فكم بالأكثر الملائكة !

لذلك حينما ترتكب الخطية، كأنما تطرد الملائكة من حولك ، أو على الأقل الملاك الحارس، الذي في مجلس المستهزئين لا يجلس. إنه يحاول أن يصدك عن الخطية، فإن أصرت عليها، يبتعد عنك. وحينئذ ينفرد بك عدو الخير. فإن كانت الخطية بشعة هكذا أمام الأبرار وأمام الملائكة ، فكم بالأكثر تكون بشعة أمام الله الكلي القداسة !!

لذلك من بشاعة الخطية ، إننا نرتكبها أمام الله .

وهكذا يقول داود النبي في المزمور الخمسين مزمور التوبة : يقول لله "إليك وحدك أخطأت، والشر قدامك صنعت". إذن فهي ليست فقط خذلية أمام الله، إنما بالأكثر خطية إلى الله.. خطية نحزن بها روح الله القدوس (أف ٤ : ٣٠) . ولأنها خطية ضد الله، لذلك قال يوسف الصديق "كيف اعمل هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله" (تك ٣٩ : ٩) .

إذن فالإنسان الصالح يذفر من الخطية، لأنه يوقن أنه بها يخطئ إلى الله، ويخطئ قدام الله . ويحزن روح الله ...

قطعاً إن الإنسان - أثناء ارتكابه للخطية - يكون قد نسى أنه أمام الله ، الذي يراه وهو يرتكب الخطية . لذلك فإن داود النبي قال للرب عز. أمثال هؤلاء الخطاة "لم يجعلوا الله أمامهم" (مز ٥٤ : ٣). هؤلاء صنعوا الشر أمام الله ولم يبالوا، أو أنهم لم يسيقوا أن يجعلوا الله أمامهم .

أما الإنسان الصالح ، فإن الله أمامه باستمرار، يخشى أن يخطئ قدامه. ما أعمق قول

إيليا النبي "حى هو رب الجنود الذى أنا واقف قدامه" (امل: ١٨ : ١٥) .

لذلك فالذى يقول "اعترف بخطاياى أمام الله مباشرة" ! قد نسى أنه ارتكب تلك الخطايا أمام الله ولم يخجل! فالأفضل له الإعتراف بها أمام الكاهن ، لكى يخجل منه فلا يعود إلى ارتكابها ...

هناك أناس يفقدون صلاحهم ، لأنهم يستغلون طيبة الله بطريقة خاطئة .

إن طيبة الله ، ينبغى أن يوضع أمامها صلاح الله وقداسته، ودعوته لنا إلى حياة القداسة والبر . بل ينبغى أن يتذكر هؤلاء قول الرسول "أم تستهين بغنى لطفه وإمهاله وطول أناته، غير عالم أن لطف الله إنما يقتادك إلى التوبة! ولكنك من أجل قساوتك وقلبك غير التائب تذخر لنفسك غضباً فى يوم الغضب . " (رو: ٢ : ٤ ، ٥) .

* * *

إن الله من أجل محبته للصلاح، وقيادتنا إلى الصلاح، وضع أمامنا إمكانيات كثيرة تقودنا إلى الصلاح، منها :

★ أولاً خلقنا على صورته ومثاله ، فى البر والصلاح ، فى العقل والفهم والحكمة .. ولما فقدنا بالخطية هذه الصورة الإلهية، قدمها لنا فى شخص الرب يسوع المسيح "الذى هو صورة الله غير المنظور" (كو: ١ : ١٥) ، لكى يقدم لنا القدوة المثلى فى الصلاح. حتى كما سلك ذلك، ينبغى أن نسلك نحن أيضاً (١يو: ٢ : ٦) .

طبعاً العمل الأساسى للتجسد الإلهى هو الفداء ، ولكن من الأغراض الإضافية تقديم الصورة الإلهية والقدوة المثالية للإنسان .

★ أيضاً لما فسدت طبيعتنا البشرية، قدم لنا تجديداً فى المعمودية .

فيها يُصَلب الإنسان العتيق ، ويقوم إنسان جديد على صورة الله ، لكيما نسلك فى جدة الحياة (رو: ٦ : ٤ ، ٦) . شخص جديد يخرج من جرن المعمودية مولوداً من الماء والروح. وما أجمل وأعمق قول القديس بولس الرسول فى هذا "لأن جميعكم الذين إعتدتم للمسيح، قد لبستم المسيح" (غل: ٣ : ٢٧) أى لبستم البر الذى فى المسيح .

كل هذا يقدمه لنا، لكى نستطيع أن نسلك فى الصلاح .

★ وأيضاً نسلك فى الصلاح ، جعلنا هياكل لروحه القدس :

وهكذا قال الكتاب "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (١كو: ٣ : ١٦) . تتال هذا بالمسحة المقدسة فى سر الميرون . فيحل روح الله فى داخلك. ويكرر الرسول

نفس المعنى فى نفس الرسالة فيقول "أم لستم تعلمون أن جسديكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم، الذى لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم" (١كو٦: ١٩) .

هذا الروح القدس الذى فيك "يكتك على خطية .. ويرشدك إلى جميع الحق" (يو١٦: ٨، ١٣) . ويعلمك كل شئ ، ويذكرك بكل ما قاله الرب (يو١٤: ٢٦) . وهكذا يساعذك على عمل الخير ، ويقودك إلى حياة الصلاح . وماذا أيضاً ؟
* ارسل الله لك نعمته ، لكي تعينك على الخير والصلاح .

وهذه النعمة ضمن البركة التى تختم بها الكنيسة كل بجماع . فنقول "محبة الله الآب، ونعمة ابنه الوحيد، وشركة الروح القدس، نكون مع جميعكم" (١كو١٣: ١٤) .

ونلاحظ أن كثيراً من رسائل القديس بولس الرسول تبدأ بهذه النعمة أو تنتهى بها . فيقول "نعمة لكم وسلام من الله أبينا.." (١كو١: ٣) فى بداية رسالته الأولى إلى كورنثوس . ويختتمها أيضاً بعبارة "نعمة الرب يسوع المسيح معكم" (١كو١٦: ٢٣) ... وهكذا فى باقى الرسائل ...

هذه النعمة لا تفقدك فقط إلى صلاح نفسك ، وإنما تساعد أيضاً فى الخدمة لأجل صلاح الآخرين .

وهكذا يقول القديس بولس الرسول "ولكن بنعمة الله، أنا ما أنا . ونعمته المعطاة لى لم تكن باطلة . بل أنا تعبت أكثر من جميعهم . ولكن لا أنا، بل نعمة الله التى معى" (١كو١٥: ١٠) .

فلا تنس كل هذه الإمكانيات ، وتقول طريق الصلاح صعب .

حقاً إن الباب الموصل إلى الملكوت هو باب ضيق، (مت٧: ١٤) "وبضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" (أع١٤: ٢٢) . ولكن نعمة الله قادرة أن توصلنا إلى كمال الحياة مع الله . كما قال القديس بولس الرسول إلى رعاة كنيسة أفسس "والآن استودعكم يا أخوتى لله ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم وتعطيكم ميراثاً مع جميع القديسين" (أع٢٠: ٣٢) .

* الرب يسوع المسيح نفسه معنا، يعيننا فى طريقه .

إنه يقول "ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر" (مت٢٨: ٢٠) . ومادام يقول "بدونى لا تقدرون أن تعملوا شيئاً" (يو١٥: ٥) . إذن اطبب منه القوة لكي تكون إنساناً

صالحاً. قل له: "توبنى فأتوب" (أر ٣١: ١٨). ألم يقل: اطلبوا تجدوا. اقرعوا يفتح لكم" (مت ٧: ٧).

*** أيضاً من أجل قيادتنا إلى الصلاح، أوجد الله فينا الضمير .**

الضمير صوت من الله فينا: يحكم ويشرع ، ويوبخ ويؤنب، ويقود إلى الخير، ويمنعنا من الخطأ. وإن استتار الضمير بالروح القدس الذى فيك، فإنه يكون مرشداً قوياً إلى الصلاح، ورادعاً عن الشر. هذا إذا أطاع الإنسان ضميره ...
ومن أجل الصلاح أيضاً ، اعطانا الرب الوصايا .

هذه التى يقول عنها داود النبى "وصية الرب مضيئة، تنير العينين عن بعد" (مز ١٩)
"وتصير الجاهل حكيماً" وأيضاً "سراج لرجلى كلامك، ونور لسبيلي" (مز ١١٩: ١٠٥) .
فالذى يحرص على أن يسلك فى طريق الصلاح، عليه أن يتمسك بكلمة الله التى تهديه.
كما قال الله ليشوع بن نون "لا يبرح سفر هذه الشريعة من فمك. بل تلهج فيها نهاراً
وليلاً، لكى تتحفظ للعمل بكل ما هو مكتوب فيه. لأنك حينئذ تصلح طريقك ، وحينئذ تفلح"
(يش ١: ٨) .

وهكذا يقول الرسول "لأن كل الكتاب موحى به من الله، ونافع للتعليم والتوبيخ، للتقويم
والتأديب الذى فى البر. لكى يكون إنسان الله كاملاً، متأهباً لكل عمل صالح" (٢تى ٣:
١٦، ١٧) .

*** ومن أجل الصلاح، أرسل لنا الله الأنبياء والرعاة والمرشدين .**

أرسل لنا الرسل، وأعطاهم خدمة المصالحة، لكى ينادوا أن اصطلحوا مع الله
(٢كو ٥: ١٨، ٢٠). وقال لنا "أطيعوا مرشديكم واخضعوا ، لأنهم يسهرون لأجل نفوسكم"
(عب ١٣: ١٧). وأعطانا الله الآباء الروحيين، الرعاة والكهنة. كل هؤلاء لقيادتنا إلى
الصلاح ...

*** ومن أجل أن نشأتق إلى هذا الصلاح، قدم لنا وعوداً جميلة .**

"من يغلب فسأعطيه أن يأكل من شجرة الحياة" "أن يأكل من المن المخفى" "من يغلب
فسأعطيه إسماً جديداً" "ويلبس ثياباً بيضاء" "ويجلس معى فى عرشى، كما غلبت أنا
وجلست مع أبى فى عرشه" (زؤ ٢، ٣). وأيضاً وعدنا بما لم نره عين، ولم نسمع به أذن،
ولم يخطر على قلب بشر" (١كو ٢: ٩) .

★ فإن لم ينفع معنا كل ما ذكرناه، أوجد الله العقوبة .

ذلك لأن هناك نوعاً من الناس لا يقودهم إلى الصلاح، إلا الخوف. على الأقل في بداية الطريق. كما قيل "بدء الحكمة مخافة الله" (أم ٩: ١٠) . وكما قال الرسول "ارحموا البعض مميزين. وخلصوا البعض بالخوف، مختطفين من النار .." (يه ٢٢، ٢٣) .

والعقوبة موجودة من بدء خلق الإنسان ، منذ خطيئة آدم وحواء (تك ٣) . وله أمثلة كثيرة في العهد القديم. وفي العهد الجديد أيضاً مثلما حدث في خطيئة حنانيا وسفيرا الذي قيل بعد معاقبتهما "فصار خوف على جميع الكنيسة وعلى جميع الذين سمعوا بذلك" (أع ٥: ١١) . ومثل معاقبة بولس الرسول لخطيئ كورنثوس (١كو ٥: ٥) . ليس إنتقاماً وإنما "لكي تخلص الروح في يوم الرب" .

نشكر الله أنه لم يأخذنا ، ونحن في ساعة غفلة، في خطايانا .

وإنما سمح أن نحيا حتى هذه اللحظة ، معطياً لنا فرصة حتى نتوب ونسلك في حياة صالحة كما ينبغي، ولا تقع تحت دينونة .. هوذا الرسول يقول "لا دينونة على الذين هم في المسيح يسوع، السالكين ليس حسب الجسد، بل حسب الروح" (رو ٨: ١) . والسلوك حسب الروح هو الصلاح. أما السلوك حسب الجسد فهو الفساد. لذلك يقول الرسول أيضاً: "الذي يزرعه الإنسان ، إياه يحصد أيضاً . لأن من يزرع لجسده، فمن الجسد يحصد فساداً. ومن يزرع للروح، فمن الروح يحصد حياة أبدية" (غل ٦: ٧، ٨) .

هذا هو إذن ثمر الروح : صلاح هنا . وحياة أبدية في العالم الآخر . لأن ملكوت السموات لا يدخله إلا الصالحون . أورشليم السمائية لن يدخلها دنس ولا رجس (رو ٢١: ٢٧) .





مِنْ شَرِّ الرُّوحِ

٧

الإِيمَانُ

الذى يحيا حياة روحية ، لابد أن يتصف بالإيمان ..
فقد ورد فى الكتاب أن من ثمر الروح : الإيمان (غل ٥ : ٢٣) . وكما ذُكر الإيمان
أيضاً ضمن مواهب الروح القدس (١كو ١٢ : ٩) .
ولسنا نقصد هنا الإيمان بمعناه السطحى أو النظرى .

فالإيمان بمعناه الروحى يشمل الحياة كلها ، كما سنرى .. هذا هو الإيمان العملى . أما
الإيمان النظرى ، فيشبه إيمان الشياطين، كما قيل "أنت تؤمن أن الله واحد. حسناً تفعل.
والشياطين يؤمنون ويقشعرون" (يع ٢ : ١٩) . يؤمنون بوجود الله ، ويقاومونه . ولهذا
فإنهم يقشعرون منه ...

هناك إيمان فى العقيدة ، وإيمان فى ممارسات الحياة العملية ...

أشخاص يظنون أنهم مؤمنون ، لمجرد أنهم يتلون فاتون الإيمان فى الكنيسة. وقد
تكون حياتهم بعيدة كل البعد عن الإيمان !!... إنما الإيمان الحقيقى ، هو الذى يظهر
واضحاً فى حياتنا العملية، فى ممارستنا ، فى علاقاتنا بالله والناس ...
هذا هو الإيمان العملى ...

فالإيمان يظهر إيمانه فى أعماله . كما يقول الكتاب "وأنا أريك بأعمالى إيمانى" (يع ٢ :
١٨) . ولذلك قيل فى الكتاب أكثر من مرة "الإيمان بدون أعمال ميت" (يع ٢ : ١٧ ، ٢٠) .
المطوب إذن هو الإيمان الحى المثمر :

إن كان إيمانك حياً، فلا بد أن تظهر ثماره فى حياتك . "لأن كل شجرة لا تصنع ثمراً
جيداً، تُقطع وتلقى فى النار" (لو ٣ : ٩). وهكذا يقول الرسول "لا الختان ينفع شيئاً ولا
الغزلة ، بل الإيمان العامل بالمحبة" (غل ٥ : ٦) . والمحبة عبارة عن برنامج روحى
طويل، يضم فضائل عديدة ذكرها فى (١كو ١٣) .

فكيف يظهر الإيمان وثمره فى حياتنا العملية ؟

هذا موضوع طويل ، يدخل فى تفاصيل تفاصيل حياتنا حتى يشمل حياتنا كلها . وكيف ذلك ؟ هذا ما نود الآن شرحه ، سواء من جهة مشاعر قلوبنا ، أو من جهة علاقاتنا مع الله والناس . ولنضرب لذلك أمثلة :

★ إن كنت تؤمن أن الله فى كل مكان ويراك ويسمعك، لا يمكن أن تخطئ .

لأنك سوف تستحى وتحجل من الله الذى يراك وأنت فى حالة الخطية . بل تستحى أيضاً من الملائكة الذين يرونك ومن أرواح القديسين، كما تستحى أن تفعل الخطية أمام البشر الذين يرونك على الأرض .. فعدم خجلك يدل على أن إيمانك بوجود الله ورؤيته لك أثناء الخطية، هو إيمان ضعيف ، أو غير موجود ...

عكس ذلك يوسف الصديق الذى رفض أن يخطئ قاذلاً : كيف أفعال هذا الشر العظيم وأخطئ إلى الله؟! (تك ٣٩ : ٩) .

★ أيضاً الذى يؤمن بالله ورعايته وقوته العاملة ، لا يخاف فالخوف هو دليل على ضعف الإيمان ...

لذلك فإن بطرس الرسول ، لما خاف من الأمواج ووقع فى الماء، قال له الرب " يا قليل الإيمان ، لماذا شككت" (مت ١٤ : ٣١) .

وجيحزى كان خائفاً من قوات العدو المحيطة بالمدينة . أما معلمنا أليشع النبى فكان يرى أجناد الرب التى تدافع عنها، لذلك صلى من أجله قائلاً "افتح يارب عينى الغلام فىرى.." (٢مل ٦ : ١٧) . نعم، بالإيمان يرى، وليس فقط بالعيان .. فيطمئن أن الذين معنا أكثر من الذين علينا ...

هذا الإيمان الذى لا يخاف ، قال عنه داود النبى فى مزمور الراعى "إن سرت فى وادى ظل الموت، لا أخاف شراً، لأنك أنت معى" (مز ١٢٢ [٢٣]). وقال فى مزمور آخر "تقدمت فرأيت الرب أمامى فى كل حين، لأنه عن يمينى فلا أتزعزع" (مز ١٦ : ٨) . نعم ، إن آمنت أن الرب معك فلن تخاف .

وإن آمنت أنه أمامك فى كل حين وأنه عن يمينك ، فلا تتزعزع. بل تقول مع المرتل "إن يحاربنى جيش، فلن يخاف قلبى. وإن قام على قتال، ففى ذلك أنا مطمئن" (مز ٢٧ : ٣)

إن كثيرين - لعدم إيمانهم - ليسوا فقط يخافون ، بل يصل بهم القلق والإضطراب إلى حد اليأس .

★ أما المؤمن فإنه يتق أن قوة الله معه ، ويتق بقول الكتاب :
"كل شئ مستطاع للمؤمن" (مر ٩ : ٢٤) .

حقاً إن هذه عبارة عجيبة ومعزية . أننا نؤمن أن الله هو الذى "يستطيع كل شئ ولا يعسرر عليه أمر" (أى ٤٢ : ١) . أما إن كل شئ مستطاع للمؤمن ، فهذا أمر عميق ومذهل ، يعطينا فكرة عن قوة الإيمان وفاعليته ، ويذكرنا بقول القديس بولس الرسول :

"أستطيع كل شئ ، فى المسيح الذى يقوينى" (فى ٤ : ١٣) .

إذن الإيمان هو قوة . وهو يقوى الإنسان باستمرار ، فلا يخاف ولا يضطرب ولا يقلق ولا ييأس . ومصدر قوته هو الله الذى يقويه . لذلك يقول المرتل فى المزمور "قوتى وتسبحتى هو الرب ، وقد صار لى خلاصاً" (مز ١١٧ : ١٤) .

★ ولهذا فإن الإيمان يصحبه السلام أيضاً : السلام الداخلى والسلام مع الله .

وهكذا يقول الرسول "إذ قد تقررنا بالإيمان ، لنا سلام مع الله" (رو ٥ : ١) . لنا سلام مع الله ، إذ نؤمن أن الرب قد حمل كل خطايانا على الصليب ، وأنا "متبررون الآن بدمه"
"وقد صولحنا مع الله بموت ابنه" (رو ٥ : ٩ ، ١٠) . لأن "الله كان فى المسيح مصالحاً العالم لنفسه ، غير حاسب لهم خطاياهم" (٢كو ٥ : ١٩) .

★ وبهذا الإيمان وهذا السلام ، يكون لنا الفرح .

لذلك فالمؤمنون دائماً فرحون .. فرحون لأنهم يؤمنون برعاية الرب لهم ، ولأنهم يؤمنون أن هذا الله الذى يرعاهم هو قادر على كل شئ ، وأنه اب حنون : فى احتياجهم يعطى ، وفى توبتهم يغفر ، وفى حمايتهم يقدر ويخلص .. حتى إن أصابتهم ضيقة ، وبدأ من الخارج أنهم فى كرب ، يقولون مع الرسول "كحزانو ، ونحن دائماً فرحون" (٢كو ٦ : ١٠) . وهكذا يقول الرسول لهؤلاء المؤمنين "افرحوا فى الرب كل حين ، وأقول أيضاً افرحوا" (فى ٤ : ٤) .

ألا يبدو أن ثمار الروح مترابطة ، الفرح والسلام والإيمان ..

★ إن الإيمان ضد الشك . فالمؤمن لا يشك .

والشك يدل على ضعف الإيمان . والرب قد ربط بين الأمرين حينما قال للقديس

بطرس "يا قليل الإيمان ، لماذا شككت؟" (مت ١٤ : ٣١) .

ما أكثر ما يقع البعض فى الشك، لضعف إيمانهم !! قد يصلون، ويخيل إليهم أن الله لم يستجب صلاتهم، أو تباطأ فى الإستجابة ... فيشكون . وقد يدركهم الشك فى محبة الله وفى رحمته ، إن وقعوا فى ضيقة ، أو فى مرض أو فى مشكلة أو إن مات أحد الذين يحبونه!

وقد يقع إنسان فى شك من جهة العقيدة ، إن قرأ كتاباً أو مقالاً ضد الإيمان ، وكان هو ضعيفاً فى إيمانه !

لذلك فالإيمان الحقيقى ، هو إيمان ثابت لا يتزعزع .

إيمان فى كل وقت ، وفى كل حين ، مهما كانت الظروف ، ومهما صادفته الضيقات أو المتاعب .. أنظروا ماذا يقول الرسول المختبر : "كونوا راسخين غير مترعزين، مكثرين فى عمل الرب كل حين، عالمين أن تعبكم ليس باطلاً فى الرب" (١كو ١٥ : ٥٨). فلنتذكر هذه العبارة ونضعها أمامنا باستمرار: كونوا راسخين غير مترعزين ...

لا نؤمن فقط بالله ، إنما أيضاً بعمل الله فىنا ومعنا .

نؤمن أن الله دائماً يعمل . وأنه يعمل معنا كأفراد وجماعات . يعمل مع الكنيسة ومع المجتمع ومع العالم كله . ويعمل لخيرنا . وفى ذلك نؤمن بيد الله فى الأحداث . وأن "كل الأشياء تعمل معاً للخير، للذين يحبون الله" (رو ٨ : ٢٨). وهذا الإيمان يمنحنا سلاماً واطمئناناً.

ومع ذلك ، فالإيمان على درجات .

ليست درجة الإيمان واحدة عند كل الناس. ولا درجة الإيمان واحدة عند نفس الشخص فى كافة مراحل حياته فقد يقوى حيناً، ويضعف فى حين آخر . وإيمان المبتدئين غير إيمان الكاملين . إن أبا الرجل المصروع من الشيطان، لما سأله الرب عن إيمانه أجاب : "أؤمن يا سيد، أعن عدم إيمانى" (مر ٩ : ٢٤) .

وهناك إيمان قوى يصنع المعجزات . وإيمان كامل قال عنه الرسول "إن كان لك كل الإيمان حتى تنقل الجبال..". (١كو ١٣ : ٢٠).. على أن الإيمان كآية فضيلة يمكن أن ينمو وأن يقوى .. إن بطرس الرسول الذى ضعف إيمانه أمام جارية أثناء محاكمة المسيح (مت ٢٦ : ٧٠) . عاد فقوى إيمانه بعد حلول الروح القدس . وقال بكل شجاعة "ينبغى أن

يُطاع الله أكثر من الناس" (أع: ٥٤ : ٢٩) .

لقد عرف الرسول الإيمان بأنه الثقة بما يُرجى، والإيقان بأمر لا ترى" (عب: ١١ : ١) .
فنحن نؤمن بوجود الله، والله لا يرى ونؤمن أيضاً بوجود الملائكة ، ووجود الأرواح،
وكلها كائنات لا ترى بعيوننا المجردة. وهذا هو الفرق بين الإيمان والعيان .. كذلك نحن
نؤمن بالنعم غير المنظورة التي ننالها من خلال أسرار الكنيسة المقدسة، وكلها أمور لا
تُرى . ومع ذلك نحن نوقن بذلك كل الإيقان .

على أن للإيمان علامات تظهره وتدل عليه .

فالمؤمن إنسان بعيد عن الكبرياء والتعالى . لأن الذي يؤمن بوجود الله، لا يستطيع أن
يسلك في كبرياء أمام الله ، بل يدرك يقيناً أنه مجرد تراب ورماد (تك: ١٨ : ٢٧) .

ومن هنا كان خشوع المؤمن في صلاته .

وكذلك ما في الصلاة من ركوع وسجود ، وما يسميه القديسون "الزى الحسن في
الصلاة" حيث يقف وكأنه أمام عمود من نار . وهكذا نقول في القداس الإلهي "قفوا بخوف
أمام الله، وانصتوا لسماع الإنجيل المقدس" "اسجدوا لله بخوف ورعدة" ...

أما الذي يقف متخادلاً متكاسلاً في صلاته ، يلتفت أثناءها هنا وهناك، أو يسرح في
أمور عديدة ، فهذا يدل على أنه غير مؤمن أنه واقف أمام الله ...
كذلك هناك فرق بين صلاة بإيمان ، وصلاة بغير إيمان .

المؤمن يثق تماماً أن صلاته قد وصلت إلى الله، وأن الله قد سمعها وأنه سوف
يستجيب. ويؤمن أن الله لا يد سيعمل . وهكذا نرى أن داود النبي تبدأ بعض مزاميره
بالطلب، بينما تنتهي بعبارات الاستجابة . فنراه مثلاً يختم المزمور السادس بعبارة يقول
فيها "ابعدوا عنى يا جميع فاعلى الإثم. لأن الرب قد سمع صوتى بكائى. الرب سمع
تضرعى. الرب لصلاتى قبل" (مز ٦) .

نقط أخرى نقولها في علامات الإيمان ودلالاته :

أنت تؤمن أن الله هو الحق ، كما يقول "أنا هو الطريق والحق والحياة" (يو ١٤ : ٦).

فهل تؤمن بالحق مادمت تؤمن بالله؟

إن كنت تؤمن بالحق ، لأنك تؤمن بالله الذى هو الحق ، فهل تسلك فى الحق ، وهل

تدافع عن الحق .

إن السلوك فى الباطل هو لون من ضعف الإيمان بالله لأن البعد عن الحق هو البعد عن الله .

كذلك الذى يؤمن بأن الله هو النور (يو ٨: ١٢) . فهل تؤمن بالنور، أم تسلك فى الظلمة؟! كيف تعيش فى الظلمة بينما أنت تؤمن بالنور؟! والرب يقول "أنا هو نور العالم . من يتبعنى، فلا يسلك فى الظلمة" (يو ٨: ١٢) .

كذلك إن كنت تؤمن بالأبدية، فلا بد أن تستعد لها .

ومادمت تستعد، فلا يمكن أن تنتهى الأمور التى فى هذا العالم، لأن "محبة العالم عداوة لله" كما يقول الكتاب (يع ٤: ٤) . "إن أحب أحد العالم، فليست فيه محبة الآب" (يو ٢: ١٥) . إذن فالذى يسلك فى محبة العالم وشهواته، ليس هو مؤمناً بالحقيقة . وإلا كان متناقضاً مع نفسه .

كذلك إن كنت تؤمن بأن جسدك هو هيكل الله، فهل من المعقول أن تتجسه وتدنسه؟! يقول الرسول "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم . إن كان أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله، لأن هيكل الله مقدس، الذى هو أنتم" (١كو ٣: ١٦، ١٧) ويقول أيضاً "أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل للروح القدس الذى فيكم، الذى لكم من الله، وأنكم لستم لأنفسكم" (١كو ٦: ١٩) .

إذن فالذى يفسد جسده، لا يؤمن أن جسده هو هيكل الله . ولا يؤمن أن الروح القدس ساكن فيه . وبنفس المنطق من يفسد جسد مؤمنة هى أيضاً هيكل للروح القدس . من هنا نرى أن كلمة الإيمان لها معنى كبير واسع . يشمل الحياة كلها . ولهذا يقول الرسول :

"اختبروا أنفسكم هل أنتم فى الإيمان . امتحنوا أنفسكم" (٢كو ١٣: ٥) .

ومن الوسائل التى يُختبر بها الإيمان الضيقة :

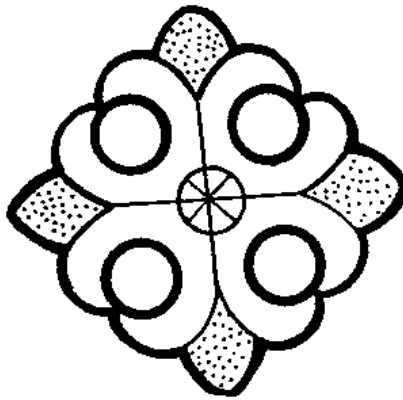
فهناك أشخاص يضعف إيمانهم أو يضيع فى الضيقة . بينما غيرهم يثبتون فى الإيمان على الرغم من الضيقات . مثال ذلك القديسون الشهداء والمعترفون الذين تعرضوا لكل ألوان التعذيب ولكنهم ثبتوا فى إيمانهم ، وتعرضوا للإيذاء وللتهديد وظلوا ثابتين فى إيمانهم .

وكما يختبر الإيمان فى الضيقة، كذلك يختبر بالشكوك .

فالذين وضعوا أرجلهم فى البحر الأحمر وعبروا ، ما كان عندهم شك ، بينما المياه والأمواج كانت تحيطهم من الجانبين (خر ١٤) .

الإيمان القوى ينتصر على كل الشكوك التى تحاربه . وهكذا فإن الكنيسة القوية اجتازت فترات الهرطقات الشديدة خلال القرنين الرابع والخامس للميلاد . فحرمت الهرطقات وخرجت منها بإيمان سليم .

نرجو من الرب أن يثبتنا فى الإيمان الذى ينبع من أرواح قوية ، تنتصر فى كل حروب الإيمان .





مِنْ شَرِّ الرُّوحِ

٨

الْوَدَاعَةَ

تطويب الوداعة

★ ما أجمل الوداعة . إنها من ثمار الروح (غل ٥ : ٢٣) . وقد جعلها الرب فى مقدمة التطويبات ، فقال :

"طويب للودعاء ، لأنهم يرثون الأرض " (مت ٥ : ٥) .

وقد فسر بعض الآباء عبارة "يرثون الأرض" هنا، بأن المقصود بها أرض الأحياء، كما ورد فى المزمور "وأنا أؤمن أن أعين خيرات الرب فى أرض الأحياء" (مز ٢٧ : ١٣).. كما أنه يمكن أن يضاف إلى ذلك أرضنا الحالية . لأن الشخص الوديع يكون غالباً محبوباً من الجميع على هذه الأرض أيضاً . فيكسب الأرض هنا، وأرض الأحياء هناك .

★ ومن أهمية الوداعة ، أن الرب دعانا أن نتعلمها منه ، فقال :

"تعلموا منى ، لأنى وديع ومتواضع القلب" (مت ١١ : ٢٩) .

كان يمكن أن يدعونا لأن نتعلم منه الكرازة والتعظيم والخدمة، والحب، الرحمة، والحكمة فى التصرف .. بل كل فضيلة وكمال، إذ تتشمل فيه كل الكمالات والفضائل . ولكنه ركز على الوداعة والتواضع ، وقال لمن يتعلمونها "فتجدون راحة لنفوسكم" . ألا يدل هذا على أهمية خاصة للوداعة فى حياة الناس ؟..

ومن أهمية الوداعة ، أن الكنيسة تضعها أمامنا فى بدء صلوات النهار .

فتضع أمامنا فى بدء صلوات باكر ، فى مقدمتها قبل المزامير ، جزءاً من رسالة القديس بولس الرسول إلى أهل أفسس، يقول فيها "أطلب إليكم أنا الأسير فى الرب، أن تسلكوا كما يليق بالدعوة التى دُعيتم إليها: بكل تواضع القلب والوداعة وطول الأناة، محتملين بعضكم بعضاً بالمحبة.." (أف ٤ : ١ ، ٢) . إذن هى فى مقدمة السلوك الروحى المسيحى.

ومن النصين السابقين نرى ارتباط الوداعة بالتواضع .

★ وقد اهتم الآباء الرسل بالحديث عن الوداعة في المعاملات :

فقال القديس بولس الرسول "أيها الأخوة، إن اتسقى إنسان فأخذ في زلة، فاصلحوا أنتم الروحانيين مثل هذا بروح الوداعة، ناظراً إلى نفسك لتلا تجرب أنت أيضاً..". (غل ٦: ١)
وقال القديس يعقوب الرسول "من هو حكيم وعالم بينكم، فليزر أعماله بالتصرف الحسن في وداعة الحكمة..". (يع ٣: ١٣) . وشرح كيف أن هذه الوداعة الحكيمة تكون بعيدة عن التحريف والتشويش، وعن الغيرة المرة وكل أمر ردي .

والقديس بطرس الرسول عندما تحدث عن الزينة، ذكر "زينة الروح الوديعة الذي هو قدام الله كثير الثمن" (١بط ٣: ٤) .

وقال القديس بطرس أيضاً "مستعدين في كل حين، لإجابة كل من يسألكم عن سر الرجاء الذي فيكم، بوداعة وخوف" (١بط ٣: ١٥) .
★ وقد كانت الوداعة هي سمة المسيحيين منذ البدء .

حتى أنه كما قيل عن تاريخ الكنيسة في العصر الرسولي في القرن الأول : إنه حينما كان أحد الوثنيين يقابل زميلاً له ، ويجده وديعاً بشوشاً هادئاً، يقول له "لعلك قابلت مسيحياً في الطريق" . ويقصد بذلك إن لقاءه مع أحد المسيحيين في وداعته ، كان بالتأثير يطبع الوداعة على وجهه .

★ ولعل من أهمية الوداعة ، مدح الكتاب للودعاء :

حيث يقال في المزمير "يسمع الودعاء فيفرحون" (مز ٣٤: ٢) . وأيضاً "أما الودعاء فيرثون الأرض، ويتلذذون في كثرة السلامة" (مز ٣٧: ١١) . وقد قيل كذلك "الرب يرفع الودعاء، ويذل الخطاة إلى الأرض" (مز ١٤٧: ٦) "ينرب الودعاء في الحق، ويعلم الودعاء طرقه" (مز ٢٥: ٩) .

إن عرفنا كل هذا المديح للوداعة والودعاء ، فلينتنا نأمل معاً : ما هي الوداعة؟ وما هي صفات الشخص الوديعة :

صفات الوديعة

الإنسان الوديعة هو الإنسان الطيب المسالم .

وكثير من الناس يستخدمون صفة (الطيب) بدلاً من صفة (الوديعة) . وهو بهذا يكون

إنساناً هادئاً بعيداً عن العنف .

هو إنسان هادئ في كل شيء .

الوديع هادئ في طبيعه ، هادئ الأعصاب ، هادئ الألفاظ ، هادئ الملامح ، هادئ الحركات . الهدوء يشمله كله داخلياً وخارجياً . فهو هادئ في قلبه ومشاعره ، وهو هادئ في تعامله مع الآخرين ... هو إنسان حلیم . كما قيل عن موسى النبي "وكان الرجل موسى حلماً جداً، أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد ١٢: ٣) .
وهدوء الوديع يكون في صوته أيضاً .

فهو يبعد عن الصوت العالي ، وعن الصوت الحاد . لا يكون شديد الألفاظ، ولا شديد اللهجة . وقد قيل عن إلهنا الوديع ، حينما قابل إيليا النبي ، أثناء هرب إيليا من الملكة الظالمة إيزابل : هبت عاصفة شديدة، ولم يكن الرب في العاصفة . ثم زلزلة ، ولم يكن الرب في الزلزلة . ثم نار، ولم يكن الرب في النار . ثم إذا "صوت منخفض خفيف" (ام ١٩: ١١ - ١٣)، وكان الرب يتكلم . فقال له "مالك ههنا يا إيليا؟"

هذا الصوت المنخفض الخفيف هو بعض ما ينصف به الوديع .

★ولذلك قيل عن السيد المسيح في وداعته :

"لا يخاصم ولا يصيح . ولا يسمع أحد في الشوارع صوته . قصبه مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يدفئ" (مت ١٢: ١٩ ، ٢٠) .

هكذا يكون الوديع ، بعيداً عن الصخب والضوضاء . لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته .. حينما يتكلم ينصف كلامه بالهدوء واللفظ، كأنما قد اختار كل ألفاظه، بكل دماثة وأدب. لا يجرح بها شعور أحد، مهما كانت صفتة . حتى إن كان أمام "فتيلة مدخنة" لا يطفئها.. ربما تمر عليها ريح فتشعلها ...
يعمل كل ذلك : لا عن ضعف ، وإنما عن لطف .

يذكرني هذا بقصيدة : أنشدتها في الأرشيدياكون حبيب جرجس ، في يوم الأربعاء لوفاته سنة ١٩٥١م قلت فيها :

يا قوياً ليس في طبيعه عنفٌ .. ووديعاً ليس في ذاته ضعفٌ
يا حكيماً أدب الناس وفي .. زجره حبٌّ، وفي صوته عطفٌ
لك أسلوب نزيه طاهرٌ .. ولسانٌ أبيض الألفاظ عَفُفٌ

لم تنل بالذم مخلوقاً ولم .. تذكر السوء إذا ما حلّ وصفُ
إنما بالحب والتشجيع قد .. تصلح الأعوج، والأكدرُ يصفو

✱ ✱ ✱

الإسنان الوديع بعيد عن العنف وعن الغضب .

هو إنسان هادئ ، لا يثور ولا يتأثر . لا يغضب بسرعة ولا ببطء . ولا يفعل
الانفعالات الشديدة ، ولا تغلبه النرفزة (العصبية)، لأنه باستمرار هادئ ، فى أعصابه
وفى ملامحه ، التى تتصف بالطيبة والبشاشة . إنه لا ينتقم لنفسه . ولا يحل مشاكله
بالعنف. بل إن أساء أحد إليه، يقابل ذلك بالإحتمال والصبر .

انظروا كيف قيل عن السيد المسيح أثناء محاكمته وقيادته للصلب : "كشاةٌ تُساق إلى
الذبح، وكنعجة صامتة أمام جازيها . فلم يفتح فاه" (أش ٥٣ : ٧). وكما قال بولس الرسول
عن نفسه وعن زملائه فى الخدمة : نُشتم فنبارك. نُضطهد فنحتمل. يفتري علينا فنعظ"
(١كو ٤ : ١٢ ، ١٣) .

الإسنان الوديع لا يقيم نفسه رقيباً على الناس .

لا يقيم نفسه قاضياً ، ولا يتدخل فى أعمال غيره . لا يعطى نفسه سلطة مراقبة
الآخرين والحكم على أعمالهم . لا يدين أحداً، ولا يحكم على أحد . وإن اضطرتّه
الضرورة إلى الحكم، لا يقسو فى أحكامه .

وقد يغلبه الحياء، فلا يرفع بصره ليملاً عينيه من وجه إنسان .

لا يفحص ملامح شخص ، ليحكم منها على مشاعره ماذا تكون .. أو ما مدى صدقه
فى كلامه . إن حورب بذلك يقول لنفسه "أنا مالى. خلىنى فى حالى" . هو بطبيعته الوديعه
لا يميل إلى فحص أعمال الناس .

وإن تدخل فى الإصلاح ، يصلح بهدوء ووداعة ورقة .

حسبما قال الرسول .."اصلحوا أنتم الروحانيين مثل ،ذا" (غل ٦ : ١) .

★وهكذا فعل السيد المسيح فى وداعته مع المرأة السامرية (يو ٤) .

لم يجرح شعورها بكلمة واحدة ، ولم ييكتها. بل اجتذبها إلى الإعتراف فى وداعة
ولطف . ووجد فيها شيئاً يمتدحه "حسناً قلت إنه ليس لك زوج.. هذا قلت بالصدق" (يو ٤ :
١٧ ، ١٨) . وبهذه الوداعة أمكنه أن يجتذبها إلى التوبة، وإلى الإيمان أنه المسيح، وتبشير
أهل مدينتها بذلك" (يو ٤ : ٢٩) .

وفى وداعة أيضاً تصرف مع المرأة الخاطئة المضبوطة فى ذات الفعل .. لم بيكتها . بل أنقذها من الذين أرادوا رجمها . فلما أنصرفوا قال لها "أين هم أولئك المشتكون عليك؟ أما دناك أحد؟ .. ولا أنا أديناك . اذهبى ولا تخطنى أيضاً" (يو ٨: ١٠ ، ١١) .

★وبنفس الوداعة عاتب بعد القيامة تلميذه بطرس .

ذلك الذى أنكره ثلاث مرات ، وحلف ولعن وقال لا أعرف الرجل (مت ٢٦: ٧٤) .. فقال له الرب ثلاث مرات: أحببنا أكثر من هؤلاء ؟ .. ومعها ثلاث مرات ثبته فى عمل الرعاية ، بقوله له : "ارح غنمى .. إرح خرافى" (يو ٢١: ١٥ - ١٧) .

وبنفس الوداعة ، قابل نيقوديموس ليلاً . ولم يوبخه على "خوفه من اليهود" .. بل أتاه ليلاً حتى لا ينكشف أمره لهم .. وبهذه الوداعة التى تنازل بها إلى ضعفه ... اقتاده فيما بعد إلى أن يجاهر بالإشتراك فى تكفين المسيح بعد صلبه ...

✱ ✱ ✱

الإنسان الوديع سهل التعامل مع الناس .

يستطيع كل شخص أن يأخذ معه ويعطى .

إنه سهل فى نقاشه وحواره . لا يحتد ولا يشتد . ولا يستاء من عبارة معينة يقولها محاوره . فيشعر المتناقش معه براحة مهما كان معارضاً له . يعرف أنه سوف لا يغضب عليه ، وسوف لا يحاسبه على ما يقول . ولعل أفضل الأمثلة على ذلك :

حوار الرب - فى وداعته - مع إبراهيم ، ومع موسى :

★من فرط وداعته استطاع أبونا إبراهيم أن يناقشه فى موضوع حرق سادوم، ويقول له "أديان الأرض كلها لا يصنع عدلاً؟! أتهلك البار مع الأثيم؟! عسى أن يكون فى المدينة خمسون باراً.. حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر: أن تميت البار مع الأثيم، فيكون البار كالأثيم!! حاشا لك" (تك ١٨: ٢٣ - ٢٥) . ويصبر الرب على هذه العبارات، ولا يعاتبه . بل يقول له فى وداعته "إن وجدت فى سادوم خمسين باراً، فإبنى أصفح عن المكان كله من أجلهم؟ . ويستمر معه فى الحوار حتى يصل العدد إلى عشرة .

★وبنفس الوداعة ، لما عبد الشعب العجل الذهبى وأراد الله أن يفنيهم، سمح لموسى أن يقول له : أرجع يارب عن حمو غضبك، واندم على الشر بشعبك .. لماذا يقولون أخرجهم بخبث (من أرض مصر) ليفنيهم فى الجبال ويهلكهم؟! (خر ٣٢: ١١ ، ١٢) .

سمح الله لموسى أن يتكلم هكذا . وفى وداعة استجاب لطلبته ولم يفهم !
من منا يحتمل من أحد خدامه أن يقول له : ارجع عن حمل غضبك، واندم على الشر؟! ولكنه الله الوديع ...

الإيمان الوديع حلِيم ، واسع الصدر ، طويل البال .

كما وُصف بذلك موسى النبي (عد ١٢: ٣) . حتى أنه حينما تقولت عليه أخته مريم، ووبخها الله وعانتها ، تشفع فيها موسى وهو فى موقف المساء إليه منها "وصرخ إلى الرب قائلاً "اللهم اشفها" (عد ١٢: ١٣) ومن الأمثلة الجميلة أيضاً أن ما قيل عن سليمان الحكيم أن الرب منحه رحبة قلب كالرمل الذى على شاطئ البحر (امل ٤: ٢٩) .

✱ ✱ ✱

والوديع إنسان بشوش ، لا يعبس فى وجه أحد .

له ابتسامة حلوة محببة إلى الناس ، وملامح سمة مريحة لكل من يتأملها . لا تسمح له طبيعته الهادئة أن يزجر أو يوبخ أو يتحدث ويشتد . أو أن يغيّر صوته فى زجر إنسان . ومهما عومل ، لا يتذمر ولا يتضجر ولا يشكو .

بل غالباً ما يلتمس العذر لغيره ، ويبرر فى ذهنه مسلكه، ولا يظن فيه سوءاً ، وكأن شيئاً لم يحدث . فلا يتحدث عن إساءة الناس إليه . ولا يحزن بسبب ذلك فى قلبه . فإن تأثر لذلك أو غضب، سرعان ما يزول ذلك ، ولا يتحول حزنه أو غضبه إلى حقد.. بل سرعان ما يصفو ...

الوديع يتميز بأنه بطئ الغضب .

كما قال معلمنا يعقوب الرسول "ليكن كل إنسان مسرعاً إلى الإستماع، مبطناً فى التكلم، مبطناً فى الغضب . لأن غضب الإنسان لا يصنع بر الله" (يع ١: ١٩) . وما أكثر ما قيل عن إنها الوديع إنه بطئ الغضب" (يون ٤: ٢) ، وإنه "طويل الروح، وكثير الرحمة" (مز ١٠٣: ٨) .

كذلك فإن الوديع لا يغضب لأى سبب .

إذا غضب الوديع، فأعرف أنه لا بد من أمر خطير دعاه إلى ذلك . وغالباً ما يكون غضبه لأجل الرب، ليس لأجل نفسه، أو بسبب كرامته أو حقوقه كما يفعل غير الودعاء . وإذا غضب ، لا يثور ولا يفقد أعصابه . إنما غضبه عن عدم موافقته وعدم رضاه . فالوديع أعصابه هادئة ، لا يفعل بسرعة . وإذا انفعل لا يشتعل .

والوديع إنسان مسالم ، لا ينتقم لنفسه .

لا يقاوم الشر، كما أمر الرب (مت ٥: ٣٩) . أى لا يقابل الشر بمثله . وإنما هو كثير الإحتمال . لا يدافع عن نفسه ، بل غالباً ما يدافع عنه غيره موبخين من يسئ إليه بقولهم "ألم تجد سوى هذا الإنسان الطيب لتسئ إليه؟" .

الإنسان الوديع لا يؤذى أحداً ، ويحتمل الأذى من المخطئين .

وله سلام فى داخله ، فلا يزعج ولا يضطرب .

كل المشاكل الخارجية لا تعكر صفوه الداخلى ، قال ماراسحق : "سهل عليك أن تحرك جبلاً من موضعه . وليس سهلاً عليك أن تثير إنساناً وديعاً" .

وهو لا يصطنع الهدوء . إنما كما خارجه ، هكذا داخله أيضاً . إنه كصخرة أو جندل فى نهر . مهما صدمت الأمواج تلك الصخرة ، تبقى كما هى لا تتزعزع .

كثيراً ما ترى الودعاء يصبرون ولا يدافعون عن حقوقهم .

ومن أمثلة ذلك داود النبى ، الذى قيل عنه فى المزمور "الذكر يارب داود وكل دعتة"

(مز ١٣٢ : ١) .. لقد مسحه صموئيل النبى ملكاً (اصم ١٦ : ١٣) . ثم ذهب إلى الرامة ، ولم

يسلمه من الملك شيئاً! وبقي داود ملكاً بلا مملكة، وعاد يرفع الغنيمات القليلات فى البرية .

ثم اختير ليخدم الملك شاول الذى كان عليه روح نجس: يعزف له على العود لكى يهدأ ..

ثم حسده شاول واضطهده اضطهاداً شديداً . وكان يطارده من برية إلى أخرى لكى يقتله .

كل ذلك وداود الوديع صابر ويحتمل . ولم يطالب خلال ذلك بحقوقه كملك ممسوح .

ولم يتذمر . ولم يقل يوماً لصموئيل النبى : أين تلك المسحة التى مسحتنى بها؟ وأين

الملك الذى أعطيتنى إياه .. وبقي على هذه الحال حوالى ١٥ سنة ، حتى مات شاول .

الوديع بعيد عن المجادلة والمحارنة .

كما قال الكتاب "افعلوا كل شئ بلا دمدمة ولا مجادلة" (فى ٢ : ١٤) . ويقصد بالمجادلة

هنا : (المقاوحة فى الكلام) أو المحارنة .. ذلك لأن الوديع لا يجاهد لكى يقيم كلمته،

ولكى ينتصر فى المناقشات . إنما هو يبدي رأيه ويثبته ، وليقبله من يشاء متى يشاء ،

دون أن يدخل فى صراع جدلى أو فى حرب كلامية . فهذا ضد هدوئه .

الوديع لا يوجد فى تفكيره خبث ولا دهاء ولا تعقيد

لا يقول شيئاً ، وفى نيته شئ آخر . بل الذى فى قلبه ، على لسانه . وما يقوله لسانه،

إنما يعبر عن حقيقة ما فى قلبه . ليس عنده التواء . ولا يدبر خطأ فى الخفاء . هو إنسان واضح ، يتميز بالصراحة . يمكن لمن يتعامل معه أن يطمئن إليه . إنه بسيط ، لا حويط ، ولا غويط ...

إنه يمر على الحياة ، كما يمر النسيم الهادئ على سطح الماء .

لا يحدث فى الأرض عاصفة ولا زوبعة ، ولا يحدث فى البحر أمواجاً ولا دوامات . ولا يحب أن يحيا فى جو فيه زوابع ودوامات . إن كل ذلك لا يتفق مع طبيعه ، ولا مع هدوئه ، ولا مع لطفه ... ولا مع أسلوبه فى الحياة . لذلك فإن كل من يعاشره ، يلتذ بعشرته . فهو طيب هادئ ، لا يصطدم بأحد ، ولا يزاحم غيره فى طريق الحياة . وإن صادف مشاكل ، فإنه يمررها ، ولا يدعها تمرره ...

✱ ✱ ✱

هناك نوعان من الودعاء . أحدهما ولد هكذا . والثانى اكتسب الوداعة بجهد وتدريب ، ويعمل النعمة فيه .

من النوع الأول ، القديس بولس البسيط . ومن النوع الثانى : القديس موسى الأسود ، الذى كان فى بدء حياته قاسياً وعنيفاً ، بل قاتلاً أيضاً . وعندما أتى إلى الدير للتوبة ، خافه الرهبان أولاً . ولكنه بدأ يدرب نفسه ، حتى تحول إلى إنسان وديع طيب ، محب للأخوة ، خدوماً ومضيفاً . وصار مرشداً لكثيرين ...

✱ ✱ ✱

على أنه فى حديثنا عن الوداعة ، لا يفوتنا أن ننسى ما يعطلها .

أحياناً تقف ضدها الرئاسة والسلطة . فما أن يصير البعض رئيساً ، ويمارس الأمر والنهى ، والتحقيق والمعاقبة ، ومراقبة الآخرين وتصريف أمورهم .. حتى يفقد وداعته ، ويرى فى الحزم والعزم والحسم ، ما يبرر له العنف أحياناً ، ويفقده وداعته وبساطته . ولكن مغبوط هو الذى يحتفظ بالوداعة فيما يمارس عمل السلطة .

كذلك من يكون عمله هو حفظ النظام . وقد يجد نفسه فى بعض الأوقات أمام جماعة من المشاغبيين ، أو من الذين تمنعهم كبرياؤهم من الخضوع لأى نظام . كيف يسلك مع هؤلاء ؟ .. طبعاً هناك من يحفظ النظام فى رقة ولطف . وهناك من يستخدم العنف فى حفظه ...

هل تتنافى الوداعة مع الشجاعة والشهامة؟!

الوداعة هي الطيبة واللفظ والهدوء ، كما سبق وقلنا ...

ولكن المشكلة هي أن البعض قد يفهم الوداعة فهماً خاطئاً . وكأن الوديع يبقى بلا شخصية ولا فاعلية، وكأنه جثة هامدة لا تتحرك !! بل قد يصبح مثل هذا الوديع هزأة يلهو بها الناس !!

ويتحول هذا (الوديع) إلى إنسان خامل ، لا يتدخل في شيء!

كلا ، فهذا فهم خاطئ للوداعة ، لا يتفق مع تعليم الكتاب ، ولا مع سير الأبياء والأنبياء.. حقاً إن الإنسان الوديع هو شخص طيب وهادئ . ولكن هذه هي أنصاف الحقائق .

النصف الآخر من الحقيقة أن الوداعة لا تتعارض مع الشهامة والشجاعة والنخوة ، وإنما لكل شيء تحت السموات وقت (جا ٣: ١) .

نعم ، هكذا قال الكتاب . وقال أيضاً "للغرس وقت . ولقنع المغروس وقت .. للسكوت وقت ، وللتكلم وقت..". المهم أن يعرف الوديع كيف يتصرف ، ومتى ؟ .. ولقد سئل القديس الأنبا أنطونيوس عن أهم الفضائل : هل هي الصلاة، الصوم، الصمت.. إلخ فأجاب عن أهم فضيلة هي الإقراز، أي الحكمة في التصرف، أو تمييز ما ينبغي أن يفعل .

فالطيبة هي الطبع السائد عند الوديع . ولكن عندما يدعو الموقف إلى الشهامة أو الشجاعة أو الشهادة للحق ، فلا يجوز له أن يمتنع عن ذلك بحجة التمسك بالوداعة ... لأنه لو فعل ذلك، وامتنع عن التحرك نحو الموقف الشجاع، لا تكون وداعته حقيقية ، إنما تصير رخاوة في الطبع ، وعدم فهم للوداعة ، وعدم فهم للروحانية بصفة عامة . فالروحانية ليست تمسكاً بفضيلة واحدة تُلغى معها باقي الفضائل . إنما الروحانية هي كل الفضائل معاً، متجانسة ومتعاونة في جو من التكامل ...

وأماننا مثلنا الأعلى السيد المسيح له المجد :

كان وديعاً ومتواضع القلب (مت ١١ : ٢٩) "قصة مرضوضة لا يقصف، وفتيلة مدخنة لا يطفى" (مت ١٢ : ٢٠) .. ومع ذلك :

فإنه لما رأى اليهود قد دنسوا الهيكل ، وهم يبيعون فيه ويشترون ، "أخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل، وقلب مواثد الصيارفة وكراسى باعة الحمام. وقال لهم: مكتوب بيتى بيت الصلاة يُدعى ، وأنتم جعلتموه مغارة لصوص" (مت ٢١ : ١٢ ، ١٣) (يو ٢ : ١٤ - ١٦) .

أكان ممكناً للسيد المسيح - باسم الوداعة - أن يتركهم يجعلون بيت الأب بيت تجارة؟! أم أنه مزج الوداعة بالغيرة المقدسة، كما فعل "فتذكر تلاميذه أنه مكتوب : غيرة بيتك أكلتني" (يو ٢ : ١٦ ، ١٧) .

وكما قام المسيح الوديع بتطهير الهيكل ، هكذا وبخ الكتبة والفريسيين .

حقاً ، لكل أمر تحت السموات وقت . للهدوء وقت ، وللغيرة وقت ، للسكوت وقت ، وللتعليم وقت . وقد كان الكتبة والفريسيون يضلون الناس بتعليمهم الخاطئ . فكان على المعلم الأعظم أن يكشفهم للناس ، ولا يبقئهم جالسين على كرسى موسى فى المجتمع المسيحى الجديد . فقال لهم "ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون . لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس . فلا تدخلون أنتم ، ولا تدعون الداخلين يدخلون" (مت ٢٣ : ١٣) .

هل كان ممكناً باسم الوداعة أن يتركهم يغلقون أبواب الملكوت!؟

الوداعة فضيلة عظيمة ، ولكننا نراها هنا ترتبط بالغيرة المقدسة ، وترتبط بالشهادة للحق ، ومثالنا هو المسيح نفسه .

والشهادة للحق أمر هام يريد الله . ولعل أهميته تظهر من قول الله على لسان أرميا النبى فى العهد القديم "طوفوا فى شوارع أورشليم ، وأنظروا وأعرفوا وفتشوا فى ساحاتها: هل تجدون إنساناً أو يوجد عامل بالعدل طالب الحق، فاصفح عنها" (أر ٥ : ١) . وقال الرب لتلاميذه " .. تكونون لى شهوداً" (أع ١ : ٨) .

فهل الوداعة تمنع الشهادة للحق!؟ حاشا . أماننا بولس الرسول كمثال :

نرى ذلك فى موقفه من القديس بطرس لما سلك فى الأكل مع الأمم مسلماً رآه بولس الرسول مسلماً ريانياً .. فقال القديس بولس فى ذلك قارمته مواجهة لأنه كان ملوماً .. وقلت لبطرس قدام الجميع : إن كنت وأنت يهودى تعيش أممياً لا يهودياً، فلماذا تلزم الأمم

أن يتهودوا؟! (غل ٢: ١١، ١٤) .

فعل هذا بولس الوديع ، الذى فى توبيخه لأهل كورنثوس، قال لهم "اطلب إليكم - بوداعة المسيح وحلمه - أنا نفسى بولس ، الذى هو فى الحضرة دليل بينكم، وأما فى الغيبة فمتجاسر عليكم" (٢كو ١٠: ١) .. هذا الوديع الذى يقف أمام أبنائه الروحيين كدليل فى حضرتهم ، معتبراً توبيخه لهم تجاسراً عليهم !! .. هذا نفسه يرى وقت الضرورة أن يويخ بطرس الرسول الذى هو أقدم منه فى الرسولية وأكبر منه سناً .
ولكنه هنا يمزج الوداعة بالشهادة للحق ...

ففضيلة الوداعة لا يجوز لها أن تعطل الفضائل الأخرى .

أمامنا مثل آخر هو ابرام (ابراهيم) أبو الآباء ، فى مزج الوداعة بالشهامة والنخوة. لاشك أن أبا الآباء ابراهيم كان وديعاً . هذا الذى سجد لبنى حث حينما أخذ منهم أرضاً ليدفن فيها سارة، مع أنهم كانوا يبجلونه قائلين "أنت يا سيدى، رئيس من الله بيننا. فى أفضل قبورنا ادفن ميتك" (تك ٢٣: ٦، ٧) . ومع ذلك سجد لهم ...

ابراهيم الوديع الذى لما أخبروه بسببى لوط ضمن سببى سادوم فى حرب أربعة ملوك ضد خمسة ، يقول الكتاب "فلما سمع ابرام أن أخاه (لوطاً) قد سبى ، جسرَ غلمانته المتمرنين، ولدان بيته ثلاثمائة وثمانية عشر، وتبعهم إلى دان.. وكسرهم وتبعهم إلى حوبة.. واسترجع كل الأملاك، واسترجع لوطاً أخاه أيضاً وأملاكه والنساء أيضاً والشعب" (تك ١٤: ١٤ - ١٦) . أكانت شهامة ابراهيم ونخوته ، ضد وداعته وطيبته ؟! حاشا .

أمامنا مثل آخر فى امتزاج الوداعة بالشجاعة والقوة ، وهو الصبى داود ، فى محاربتة لجليات الجبار .

لاشك أن داود كان وديعاً ، يقول عنه المزمور "اذكر يارب داود وكل دعته" (مز ١٣٢: ١) .. داود راعى الغنم الهادئ صاحب المزمار، الذى يحسن الضرب على العود (اصم ١٦: ١٦، ٢٢) . داود الحسن المنظر، الأشقر مع حلوة العينين (اصم ١٦: ١٢) . داود هذا لما ذهب إلى ميدان الحرب يفتقد سلامة أخوته، وسمع جليات الجبار يعير الجيش كله ويتحداه . والكل ساكت وخائف .. تملكته الغيرة المقدسة . وبكل شجاعة وقوة وإيمان، قال "لا يسقط قلب أحد بسببه" (اصم ١٧: ٣٢) . وتطوع أن يذهب ليحاربه. وتقدم نحوه، وقال له "اليوم يحبسك الرب فى يدي.. (اصم ١٧: ٤٦) .

هنا الوداعة ممتزجة بالقوة والشجاعة والإيمان ...

وعلى الرغم من قوة داود وشجاعته ، لم تفارقه وداعته ، بل قال لشاول الملك فيما بعد لما طارده "وراء من خرج ملك إسرائيل؟ وراء من أنت مطارده؟ وراء كلب ميت! وراء برغوث واحد!! (اصم ٢٤: ١٤) .

نضرب مثلاً آخر للإيمان الوديح ، الذى يغضب غضبة مقدسة للرب، وينتهر ويوبخ.. هو موسى النبي .

لا يستطيع أحد أن ينكر وداعة موسى النبي، هذا الذى قال عنه الكتاب "وكان الرجل موسى حليماً جداً أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد ١٢: ٣) .

فماذا فعل موسى الوديح لما نزل من الجبل ووجد الشعب فى رقص وغناء حول العجل الذهبى الذى صنعوه وعبدهوه؟ يقول الكتاب "فحمى غضب موسى . وطرح اللوحين (لوحى الشريعة) من يديه وكسرها فى أسفل الجبل . ثم أخذ العجل الذى صنعوه وأحرقه بالنار، وطحنه حتى صار ناعماً ، وذراه على وجه الماء.." (خر ٣٢: ١٩ ، ٢٠) . ويوبخ موسى هارون أخاه رئيس الكهنة، حتى ارتبك أمامه هارون وخاف. وقال له "لا يحم غضب سيدى. أنت تعرف الشعب أنه شر.." وقال فى خوفه وارتبائه عن الذهب الذى جمعه من الناس "طرحته فى النار، فخرج هذا العجل!!" (خر ٣٢: ٢٢ ، ٢٤) . وعاقب موسى الشعب . ومات فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف ...

إذن الوداعة لا تمنع الغضب المقدس ولا المعاقبة ...

الوداعة أيضاً لا تمنع قوة الشخصية ، ولا قوة التأثير .

كان السيد المسيح وديعاً . وفى نفس الوقت كان قوى الشخصية، وكان قوياً فى تأثيره على غيره . ولكننى أريد هنا أن أضرب مثلاً فى مستوى البشر، وهو القديس بولس الرسول . بولس الذى شرحنا من قبل وداعته ..

يقول سفر أعمال الرسل عن القديس بولس ، وهو أسير : "وبينما كان يتكلم عن البر والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون ، ارتعب فيليكس (الوالى) . وأجاب "أما الآن فاذهب . ومتى حصلت على وقت استدعيك" (أع ٢٤: ٢٤ ، ٢٥) .

ولما وقف بولس الرسول - وهو أسير أيضاً - أمام أغريباس الملك، قال له أيضاً بعد أن ترافع أمامه "أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء؟ أنا أعلم أنك تؤمن" . فقال أغريباس لبولس "بقليل تقنعنى أن أصير مسيحياً" (أع ٢٦: ٢٧ ، ٢٨) .

وحينئذ فى قوة وعزه أجابه القديس بولس : كنت أصلى إلى الله، أنه بقليل وبكثير -

ليس أنت فقط- بل أيضاً جميع الذين يسمعوننى اليوم، يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود" (أع٢٦: ٢٩) .. أترى تتعارض الوداعة مع هذه القوة؟ كلا، بلا شك .

ووقت الضرورة ، لا تتنافى الوداعة مع الدفاع عن الحق ...

ويتضح هذا الأمر من قصة بولس الرسول مع الأمير كلوديوس ليسياس، لما أمر أن يفحصوه بضريات ليعلم لأى سبب كان اليهود يصرخون عليه. يقول الكتاب "قلما مدوه للسياط، قال بولس لقائد المئة الواقف "أجوز لكم أن تجلدوا رجلاً رومانياً غير مقضى عليه ١٢؟ وإذ سمع القائد هذا أخبر الأمير ، الذى جاء واستخبر من بولس عن الأمر. وحينئذ تتحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يجلدوه . واختتمى الأمير لما علم أنه رومانى (أع٢٢: ٢٤-٢٩) .

ما كان القديس بولس الرسول يهرب من الجلد . فهو الذى قال : "من اليهود خمس مرات قبلت أربعين جلدة إلا واحدة" (٢كو١١: ٢٤) . لكنه هنا دافع عن حق معين، وأظهر للأمير خطأ كان مزماً أن يقع فيه . وما كان هذا يتنافى مع وداعة القديس بولس. وبفلس الوضع لما أراد فسثوس الوالى أن يسلمه لليهود ليحاكم أمامهم، وبهذا يقدم منة (أى جميلاً) لهم . فقال له بولس فى حزم - مدافعاً عن حقه - "أنا واقف لدى كرسى ولاية قيصر، حيث ينبغى أن أحاكم. إلى قيصر أنا رافع دعواى" . فأجابه الوالى "إلى قيصر رفعت دعواك. إلى قيصر تذهب" (أع٢٥: ٩-١٢) .

لم يكن القديس بولس خائفاً من اليهود . ولكنه - فى حكمة - طلب هذا، ليذهب إلى رومه - حيث يوجد قيصر - ويبشر هناك . لأن الرب كان قد تراءى له قبل ذلك، وقال له "ثق يا بولس، لأنك كما شهدت بما لى فى اورشليم، هكذا ينبغى أن تشهد فى رومية أيضاً" (أع٢٣: ١١) . وهكذا دافع عن حقه فى وداعة وحكمة، ودون أن يخطئ فى شئ. بل تكلم كلاماً قانونياً .

الوداعة لا تمنع من أن تنبه خاطئاً لكى تنقذه من خطأ أو من خطر .

كما قال يهوذا الرسول غير الأسخريوطى "خلصوا البعض بالخوف، مختلفين من النار" (يه٢٣) .

هل إن رأيت صديقاً أو قريباً، على وشك أن يتزوج زواجا غير قانونى، من قرابة ممنوعة ، أو بعد طلاق غير كنسى، أو بتغيير المذهب والملة، أو أنه مزعم أن يتزوج زواجا مدينياً أو عرفياً.. أو ما شاكل ذلك .. هل تمتنع باسم الوداعة عن تنبيهه إلى أن ما

ينوى عمله هو وضع خاطئ؟! .. كلا، بل أن من واجبك أن تتصحه .. ولكن بأسلوب هادئ، تنبيهه ، ولكن في غير كبرياء وفي غير تجريح . أما إن سكّت ، فإن سكوتك سيكون هو الوضع الخاطئ . ليست الوداعة أن تعيش كجثة هامدة في المجتمع . بل تتحرك، وتكون لك شخصيتك، إنما في أسلوب وديع .. ولو بكلمة واحدة، كقول المعمدان "لا يحل لك" (مت ١٤ : ٤) .

أمامنا أيضاً مثال القديس بولس الرسول "اسهروا متذكرين أنني ثلاث سنين ليلاً ونهاراً، لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل واحد" (أع ٢٠ : ٣١) .. وداعته لم تمنعه من أن ينذر كل واحد. لكن أسلوبه الوديع ، هو أنه كان ينذر بدسوع ... حتى إن اضطر أن يقول كلمة شديدة ...

لقد اعتاد الناس على عدم سماع كلمة شديدة من إنسان وديع . فإن سمعوه يوماً يقول كلمة شديدة، سيدركون داخل أنفسهم أنه لابد أن سبباً شديداً قد ألجأه إلى هذا. ويكون للكلمة وقعها وتأثيرها في أنفسهم ...

هل تظنون أن الوديع ، قد أعفى من قول الرب لتلاميذه "وتكونون لى شهوداً" (أع ١ : ٨) . كلا، بلاشك فحينما يلزم الأمر أن يشهد للحق، لابد أن يفعل ذلك ...

هل إذا أتاحت فرصة له، لكي ينقذ شخصاً معتدى عليه، ألا يفعل ذلك باسم الوداعة؟! هل من المعقول أن يقول "وما شأنى بذلك؟!" أو يقول "وأنا مالى ، خلينى فى حالى" !! أم فى شهامة ينقذه ، وبأسلوب وديع. كما أنقذ السيد المسيح من الرجم المرأة المضبوطة فى ذات الفعل. وقال للراغبين فى رجمها "من كان منكم بلا خطية، فليرمها بأول حجر" (يو ٨ : ٧) . وفعل ذلك بوداعة دون أن يعلن خطاياهم. بل "كان يكتب على الأرض" .

لعل البعض يسأل ههنا: هل يمكن للوديح أن يدين أحداً؟ وهل هناك أمثلة فى الكتاب لذلك ؟ أمامنا السيد المسيح ("الوديح المتواضع القلب") (مت ١١ : ٢٩) .

هذا الذى كان يقول "لم يرسل الأب ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليخلص العالم" (يو ٣ : ١٧) . وقد قال لليهود "أنتم حسب الجسد تدينون. أما أنا فلست أدين أحداً" (يو ٨ : ١٥) . ومع ذلك أكمل بعدها "وإن كنت أنا أدين ، فدينونتى حق" . يسوع المسيح هذا، الذى قال للمرأة المضبوطة فى ذات الفعل "ولا أنا أدينك" (يو ٨ : ١١) .. هو فى مناسبات عديدة، أدان كثيرين .. مثلما أدان الكتبة والفريسيين (مت ٢٣) . وأدان كهنة اليهود (مت ٢١ : ٤٣) قائلاً لهم "إن ملكوت الله ينزع منكم، ويعطى لأمة تصنع أثماره" . وأدان

تلميذه بطرس لما أخطأ ، وقال له من جهة الصليب "حاشاك يارب" (مت ٢٣ : ١٦) .
كذلك فإن القديس بولس الرسول قال لتلميذه تيموثاوس "الذين يخطئون وبخهم أمام
الجميع، لكي يكون عند الباقيين خوف" (١تى ٥ : ٢٠) . فإن قلت هذا هو المسيح يدين،
وذلك رسول وذاك أسقف، أقول :

هناك مواقف يجد فيها الوديع نفسه مضطراً أن يتكلم، ولا يستطيع أن يصمت. مثلما
فعل أليهو في قصة أيوب الصديق وأصحابه :

كان هو الرابع من أصحاب أيوب. وقد ظل صامتاً طوال ٢٨ إصحاحاً من النقاش بين
أيوب الصديق وأصحابه الثلاثة إلى أن صمت هؤلاء إذ وجدوا أيوب باراً في عيني نفسه
(أى ٣٢ : ١) . وحينئذ يقول الكتاب "فحمى غضب أليهو بن برخئيل البوزى من عشيرة
رام. على أيوب حمى غضبه، لأنه حسب نفسه أبر من الله. وعلى أصحابه الثلاثة حمى
غضبه، لأنهم لم يجدوا كلاماً واستذنبوا أيوب" (أى ٣٢ : ٢، ٣) .. كان أليهو إنساناً وديعاً،
ظل صامتاً مدة طويلة في نقاش بين أشخاص "أكثر منه أياماً" . ولكنه أخيراً لم يستطع أن
يصمت . ورأى أنه لا بد من كلمة حق ينبغي أن تقال . فقال لهم :

"أنا صغير في الأيام وأنتم شيوخ. لأجل ذلك خفتُ وخشيتُ أن أبدى لكم رأيتي . قلت
الأيام تتكلم، وكثرة السنين تظهر حكمة" . ولما لم يجد فيهم حكمة، تكلم ووبخ أيوب.
وكانت كلمة الله على فمه. وهو الوحيد الذي لم يجادله أيوب (أى ٣٢ - ٣٧) .
هناك أشخاص من حقهم - بل من واجبهم - أن يدينوا .

ولا تتعارض إدانتهم مع الوداعة . مثل الوالدين ، والأب الروحي، والمدرس بالنسبة
إلى تلاميذ، والرئيس بالنسبة إلى مرؤوسيه ... إن على الكاهن أدانه الله لأنه لم يحسن
تربية أولاده ودينهم (١صم ٣) .

هوذا الكتاب يقول "لا تخالطوا الزناة" (١كو ٦ : ٩) . فهل تقول "أنا لا أدين هؤلاء" !
إن عدم مخالطتهم ، وعدم مخالطة مجموعات أخرى من الخطاة (١كو ٦ : ١١) ، تحمل
ضمناً أدانتهم . كذلك بالنسبة إلى المنحرفين في التعليم الديني، يقول الرسول "إن كان أحد
يأتيكم ولا يحيى بهذا التعليم، فلا تقبلوه في البيت، ولا تقولوا له سلام. لأن من يسلم عليه،
يشترك في أعماله الشريرة" (٢يو : ١٠، ١١) . فهل باسم الوداعة تقبل هؤلاء !؟

قال الرسول "خطايا بعض الناس واضحة تتقدم إلى القضاء" (١تى ٥ : ٢٤) . أنت لا
تدين ، بل أعمالهم تدينهم . وأنت بكل وداعة تتبعد عنهم .



مِنْ ثَمَرِ الرُّوحِ

٩

Chastity التَّعَفُّفُ

الذى يحيا حسب الروح، لابد أن يكون التعفف من ثمر حياته الروحية. فما هو هذا التعفف؟ وكيف يمكن الوصول إليه؟

التعفف يشمل عفة الجسد، وعفة الحواس (النظر والسمع واللمس)، وعفة اللسان، وعفة الفكر، وعفة القلب، وعفة القلم، وعفة اليد ...
ونود هنا أن نتكلم عن كل بند من هذه البنود ...

عفة اللسان

عفة اللسان تبعد عن كل كلمة بطالة .

هذه التى قال عنها السيد الرب "كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس، يعطون عنها حساباً فى يوم الدين" (مت ١٢: ٣٦) . بل اعتبر إنها نجاسة، فقال "ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان. بل ما يخرج من الفم، هذا ينجس الإنسان" (مت ١٥: ١١) . وطبعاً الإنسان العفيف لا يتنجس بأية كلمة ...

اللسان العفيف لا يلفظ كلمة شتيمة ، ولا كلمة تهكم .

الإنسان العفيف يحترم غيره ، فلا يسيئ إليه بكلمة جارحة، ولا بكلام استهزاء أو احتقار أو ازدراء، فى أى حديث، أو فى أى عتاب. وأتذكر أننى فى يوم أربعين الأرشيدياكون حبيب جرجس ، قلت عنه :

لك أسلوب نزية طاهر .. ولسان أبيض الألفاظ عفاً

لم تتل بالذم مخلوقاً ولم .. تذكر السوء إذا ما حلّ وصف

لهذا فإن الذى يستخدم ألفاظاً جارحة، أو ألفاظاً قاسية، وكأنها كرجم الطوب، ليس هو

بالإنسان العفيف اللسان .

فاللسان العفيف لا يشهر بغيره ، ولا يكشف عورة إنسان في حديثه، لأن عفته تمنعه من ذلك .

اللسان العفيف ، هو لسان مؤدب ومهذب ، يزن كل كلمة بلفظ بها ، ولا يحتاج إلى مجهود لكي يتكلم كلاماً عفيفاً، لأنه تعود على ذلك . أو هو هكذا بطبعه .

واللسان العفيف لا يتكلم كلاماً نابياً ، ولا يستخدم ألفاظاً معيبة من الناحية الخلقية . فلا يتلفظ بكلمات جنسية بذيئة، ولا يذكر قصصاً أو فكاهات جنسية، ولا يقبل سماعها إن قيلت من غيره. ولا يردد أغاني من نفس النوع، بل يخجل من النطق بها ، ولا فيما بينه وبين نفسه في مسكنه الخاص . إنه لا يتدنى إلى هذا الوضع .

اللسان العفيف يمنعه أدبه من استخدام لغة لا تتفق وهذا الأدب الذي تعود .
واللسان العفيف قد تعود أيضاً عفة التخاطب .

وقد تعود أيضاً على أدب الحوار .

فهو لا يقاطع غيره أثناء الحديث معه ، ولا يوقفه عن الكلام لكي يتكلم هو، ولا يعلو صوته في الحوار . ولا يحاول أن يقلل من شأن غيره في الحوار، لكي - يثبت صحة رأيه هو. ولا يهين غيره أثناء المناقشة . فكل هذه أمور لا يسمح بها أدبه .

واللسان العفيف - في حوار - يكون موضوعياً، لا يتعرض إلى الجوانب الشخصية في من يتحاور معه . وإنما يكون منطقياً فيما يقول . لا يمكن أن يصف محدثه بالجهل أو عدم الفهم. ولا يكشفه في هذه النواحي. بل يركز على الموضوع ، موضوع النقاش ...
وعفة اللسان ترتبط بها أيضاً عفة القلم .

القلم الذي يراعى كل ما قلناه فيما يكتب، فلا يشهر بأحد، ولا يجرح أحداً، ولا يعتمد إلى الإهانة. ولا يشيع عن إنسان ما ليس فيه . بل يحرص على أعراض الناس، ويرى أن سمعتهم أمانة لا يمكن لقلمه أن يتجاوزها . بل هو يكتب بموضوعية نزيهة .
وهنا نرى عفة النقد ونزاهته .

النقد العادل ، البرئ ، الموضوعي ، الذي يهدف إلى الحق . ويزن الأمور بميزان سليم. ويذكر النقط البيضاء أولاً قبل غيرها من النقاط التي لا يوافق عليها . وهكذا يعطى كل ذي حق حقه .

وفى نقده لا يدخل فى نوايا الناس وفى دواخلهم التى لا يعرفها إلا الله وحده.

على أننى أقول دائماً إن خطية اللسان هى خطية ثانية .

فاللسان غير العفيف، تكون عدم عفته خطية ثانية ، تابعة لأخرى قد سبقتها وهى عدم العفة فى القلب ، التى كانت نتيجةها عدم عفة اللسان . وذلك طبقاً لقول السيد الرب "الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح . والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر . لأنه "من فضلة القلب يتكلم اللسان" (لوقا : ٤٥) .

هذا ينقلنا إلى الحديث عن عفة القلب وعفة الفكر .

عِفَّة الْقَلْبِ وَعِفَّة الْفِكْرِ

هذه العفة الداخلية ، يُبنى عليها كل تعفف من الخارج . وفى هذا قال الكتاب "فوق كل تحفظ احفظ قلبك، لأن منه مخارج الحياة" (أم ٤ : ٢٣) .

عفة القلب هى عفة المشاعر والعواطف والأحاسيس ، وعفة المقاصد والنيات والرغبات ...

ومن عفة القلب تصدر عفة الفكر ، وعفة اللسان ، كما تصدر أيضاً عفة الحواس . فكلها خارجة من مصدر واحد .

لذلك إن وجدت فكرك قد بدأ يسير فى مجرى غير عفيف، أسرع وقاومه . وأوقفه قبل أن يتطور إلى أجهزتك الأخرى. وهكذا يعبر الفكر عن ذاته ، عن طريق اللسان أو الحواس أو العمل .

عفة الفكر والقلب تتعلق أيضاً بعفة العقل الباطن .

فالعقل الباطن يعمل عن طريق المخزون فيه من أفكار ، ومن رغبات وصور ومشاعر .. فإن كان المخزون فى العقل الباطن غير عفيف، حينئذ يظهر ذلك فى أحلام غير عفيفة ، وفى ظنون وأفكار من نفس النوع . مثلما قيل فى سفر التكوين عن الشجر الذى ينتج بذراً كجنسه (تك ١ : ١١ ، ١٢) .

فليحرص كل إنسان إذن على عفة قلبه وفكره ، بما يدخل فيهما من روحيات، ومن محبة للخير وللعفة ، حتى يصبحان مصدراً لكل من عفة اللسان، وعفة الحواس، وعفة الجسد .

عفة الجسد

عفة الجسد هي بعده عن كل شهوة جسدية رديئة ، أو كل شهوة تتعلق بمحبة هذا العالم المادى .

وقد تعرض القديس يوحنا الرسول لهذا الأمر ، فقال فى رسالته الأولى "لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم .. لأن كل ما فى العالم : شهوة الجسد ، وشهوة العين ، وتعظم المعيشة.." (١ يوحنا : ١٥ ، ١٦) .

وشهوة الجسد تشمل الزنى بكل أنواعه . كما تشمل محبة الراحة والبطنة . وتشمل أنواعاً كثيرة مما يشتهيها الجسد ، ولكن أخطرها الزنى . والإنسان العفيف يبذل كل جهده للبعد عن شهوات الجسد ... فهو لا يشتهى ، ولا يثير الشهوة فى غيره ...

وإن حورب بإغراء ضد عفة الجسد ، يحارب ذلك بكل قوته .. يحارب عدم العفة بقلب طاهر ، وبارادة قوية، ولا يسلم سلاحه أبداً. ما أعظم قول بولس الرسول للعبرانيين موبخاً "لم تقاوموا بعد حتى الدم، مقاومين ضد الخطية" (عب ١٢ : ٤) .. مقاومة صادقة ، مهما كانت الظروف الخارجية ضاغطة ...

القلب العفيف هو العامل الأساسى فى عفة الجسد ..

ومثالنا هو يوسف الصديق ، الذى كانت الخطية تضغط عليه من الخارج ، وتلح عليه كل يوم، ومن سيدته التى كان لها سلطان عليه، وتستطيع أن تؤذيه إذا رفض. ولكنه احتفظ بعفة جسده، بسبب عفة قلبه، وبسبب أنه كان يضع الله أمامه فى كل ما يفعل. وبسبب مبادئه الروحية التى كانت تؤمن بالعفة . فقال : كيف أفعل هذا الشر العظيم، وأخطئ إلى الله؟! (تك ٣٩ : ٩ ، ١٠) .

إذن العفة لا تتوقف على الوسط الخارجى ، إنما على حالة القلب الداخلية ومدى عفة القلب .

لقد نجح يوسف الصديق ، ولم يكن قد ارتبط بعد بزواج يحصنه من الخطية، ولم ينجح داود الملك الذى كانت له سبع زوجات وقتما حاربته إغراء الخطية . والسبب كان هو حالة القلب الداخلية: هل هو قلب عفيف يتسامى ويعلى فوق الإغراء، مثل قلب يوسف العفيف .. أم هو قلب ضعيف من الداخل . تأتيه حروب الخطية فى وقت يكون فيه محبباً

لها وغير متمسك بالعفة ، كما حدث مع داود .

عفة الجسد أيضاً ترتبط بالحشمة وعفة الملابس .

وعفة الملابس بالنسبة إلى المرأة تتعلق أحياناً بكشف جسدها بطريقة غير عفيفة: إما بملايس فيها لون من العرى الجسدى يكشف أجزاء من جسدها، أو بملايس ضاغطة، أو بملايس شفافة. وكلها تؤدي إلى نفس النتيجة ، وتكون معثرة ...

وقد تبرر المرأة هذا بأنه إظهار لأكوثتها . وفى الواقع إنه إظهار لعدم عفتها .

مهما حاولت أن تدعى بأن هذه هى الموضع السائدة . لأنه لا يصح أن تسود الموضة على الروح . أو تكون وصايا مصممي الموضة أهم من وصايا الله .. والمرأة المحتشمة لا تقبل مطلقاً أى زى جديد يتنافى مع الحشمة ، أو يسبب عثرة لأحد .

وإن فعلت هذا فى أى مكان ، لا يجوز مطلقاً أن تدخل إلى الكنيسة بزى غير محتشم، وبخاصة فى وقت تناول من الأسرار المقدسة .

وقد تتنافى مع العفة أيضاً ألوان من الزينة والمساحيق .

ومعروف ما قاله القديس بطرس الرسول عن الزينة الجسدية . وقد فضّل عليها "زينة الروح الوديع الهادئ الذى هو قدام الله كثير الثمن" (بط ٣: ٤) .

نحن لا ننكر على المرأة أن تتجمل . ولكن يُسمح لها بذلك فى حدود العفة، وفى حدود التجمل غير المعثر ...

وقد لا يتفق مع التعفف أيضاً أسلوب المشى والحركة ونوعية الصوت .

فالمفروض أن تشمل العفة كل أسلوب حياتها، وأن تبعد عن كل تصرف يثير مشاعر خاطئة بالنسبة إلى غيرها ...

لعل المرأة تقول إن الرجل الذى يثار هو إنسان ضعيف ليس عفيفاً كما ينبغى.. وربما يكون هذا صحيحاً. ولكن عليها أن تراعى ضعف الضعفاء ، فلا تعثرهم . وقد قال القديس بولس الرسول "يجب علينا نحن الأقوياء أن نحتمل ضعف الضعفاء ، ولا نرضى أنفسنا" (رو ١٥: ١) .

نحن مطالبون ليس فقط بعفة أنفسنا . وإنما أيضاً بالعمل على عفة غيرنا ، فلا يفقدون عفتهم بسببنا .

وقد جاء الحديث عن العثرة . وقال السيد الرب فى ذلك "ويل لذلك الإنسان الذى به

تأتى العثرة" (مت ١٨: ٧) "خير له لو طُوق عنقه بحجر رجمي وطُرح في البحر ، من أن يعثر أحد هؤلاء الصغار" (لوقا ١٧: ١، ٢).

فعلى المرأة - كما على الرجل أيضاً - مراعاة عفة العنصر الآخر ، فلا يكون سبباً لمحاربتة فى عفته .

المرأة بجمالها وأنوثتها . والرجل بإغرائه وعواطفه ووعوده ... وكذلك بالصدقة والألفة، التى تبدأ أولاً بريئة، أو تبدو بريئة، ثم تنتهى إلى عكس ما بدأت به ... وعفة الجسد ينبغى أن تحفظ حتى فى غرفة الإنسان الخاصة .

سواء فى طريق جلوس الإنسان أو طريقة نومه، أو فى حشمتة بصفة عامة. فالذى يحتفظ بحشمتة فى غرفته الخاصة، سوف يحتفظ بنفس الأسلوب العفيف حينما يغادر غرفته ويختلط بالناس . أما الذى يسلك بغير عفة فى مسكنه ، لاشك أن عدم العفة سوف تتبعه أينما ذهب .. التعود لازم ، ويبدأ مع الذات .

حتى فى العلاقات الزوجية ، ينبغى أن تحفظ العفة .

وفى هذا يقول القديس بولس الرسول "ليكن الزواج مكرماً عند كل احد، والمضجع غير دنس. أما العاهرون والزناة، فسيدينهم الله" (عب ١٣: ٤) . إن الحلال مقبول . ولكن لا يصل إلى التسبب ، الذى قد يتنافى أحياناً مع العفة . وهذا ما قصده الرسول بأن يكون المضجع غير دنس .

عفة الجسد تقودنا إلى الحديث عن عفة الحواس .

ونعنى بها بوجه خاص عفة النظر والسمع واللمس .

عفة النظر

عفة النظر تكون فى البعد عن كل نظرة شهوانية .

ولعل هذا ما قصده القديس يوحنا بعبارة "شهوة العين" (١يو ٢: ١٦) . وهذا أيضاً ما قصده أيوب الصديق حينما قال "عهداً قطعت لعينى . فكيف أطلع فى عذراء؟! (أى ٣١: ١) . بل هذا ما قاله الرب "إن كل من ينظر إلى امرأة لبستهاها، فقد زنى بها فى قلبه" (مت ٥: ٢٨) .

إن عدم عفة القلب تؤدى إلى عدم عفة النظر .

الإنسان العفيف تكون نظرتة إلى أية امرأة ، هي نظرة عفيفة لا خطيئة فيها . ولكن يبدأ عدم العفة، حينما يتلوث القلب من الداخل .

وهذا هو الذى حدث مع امرأة فوطيفار . يقول الكتاب إنها "رفعت عينيها إلى يوسف" (تك: ٣٩ : ٧) . إنها بلاشك كانت تراه كل يوم . ولكنها فى ذلك الوقت بدأت تنظر إليه بطريقة أخرى ، بقلب دخلته الشهوة .

حدث مثل ذلك وبمعنى آخر، مع أمنا حواء بالنسبة إلى شجرة معرفة الخير والشر . كانت الشجرة فى وسط الجنة (تك: ٣ : ٣) . ولاشك أن حواء كانت تمر عليها كل يوم وترأها، ولكن بقلب عفيف لا يشتهيها . إذن فمتى بدأت المشكلة؟ بدأت حينما تغير قلب حواء من الداخل بإغراء الحية التى قالت لها "لن تموتا.. تصيران مثل الله.." "تتفتح أعينكما" (تك: ٣ : ٤ ، ٥) ... حينئذ "رأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر" (تك: ٣ : ٦) . من أين أتت هذه الشهوة نحو الشجرة؟ أتت من تغير القلب من الداخل ..

الإنسان العفيف ينظر بغير شهوة ، بل فى استحياء ..

ليس فى الأمور الجنسية وحدها ، بل أيضاً من جهة نظرة الإحترام نحو من هو أكبر منه . فلا يجرؤ أن الابن ينظر إلى أبيه بغير حشمة ، بل فى توقير شديد . وقد لا يجرؤ أن يرفع عينيه إليه، أو أن ينظر نظرة تحذّر .. قيل عن القديس الأنبا بيجيمى إنه عاش ١٨ سنة مع شيوخ قديسين فى الدير، لم يجرؤ خلال ذلك أن يرفع بصره ليملاً عينيه من واحد منهم .

هناك نظرات أخرى غير متعطفة (من نوع آخر) .

مثل النظرات المتجسدة الفاحصة ، التى تريد أن تسبر غور من أمامها وتفحص دواخله، وتعرف أسرارها ، أو تؤثر عليه .

عِنة الأذن

الأذن العفيفة هى التى لا تتصنت على غيرها .

أما التى تتسمع لتعرف أسراراً ليس من حقها أن تعرفها، فهى إذن ليست عفيفة .. إنها تسرق أخباراً ، وتدخل إلى خصوصيات الناس بغير حق . ولا يمكن أن يفعل هذا إنسان مهذب ...

كذلك فإن الأذن التي تلتذ بسماع أحاديث شهوانية .

أو بسماع فكاكات أو أغانٍ جنسية، هي أذن غير عفيفة .. بل تصرفها هذا نسميه (زنى الآذان) ...

أيضاً من الآذان غير العفيفة ، الأذن التي تلتذ وتستمتع بسماع مذمة الغير، أو أخبار عن سقوط أو فشل من تعاديبهم . فهذا نوع من الشماتة ، لا يتفق مع العفة . وقد قال الكتاب في ذلك 'لا تفرح بسقوط عدوك، ولا يبتهج قلبك إذا عثر. لنلا يرى الرب ويسوء ذلك في عينيه' (أم ٢٤: ١٧، ١٨) . إن هذا بلا شك لون من الشماتة . والأذن التي تلتذ لها الشماتة ، ليست أذناً عفيفة .

عفة اليد

اليد العفيفة لا تمتد إلى ما لغيرها ، لا بسرقة أو نشل ، ولا بأى لون من اغتصاب حقوق الغير .

كذلك لا تعتبر يداً عفيفة التي تفرح بربح غير جائز . قال عنه الكتاب "طامع بالريح القبيح" (أتى ٣: ٣) . ويدخل فى هذا الأمر : الربا الذى يفرضه الربا على الفقراء المحتاجين . واحتكار بعض التجار سلعاً معينة فى السوق ، أو فرض أسعار عالية مجحفة بمن يشتري . فتمتلى أيدى كل هؤلاء من مال أخذوه من تعب الناس واحتياجهم . وكما قلت عن ذلك فى إحدى القصائد :

خطفوه من فم الجوعان بل ... من رضيع لم يوفوه فطاما

ومن عفة اليد أيضاً العفة فى الطلب .

حيث يستحق الإنسان العفيف أن يمد يده . وإذا أعطى قد يستحق أيضاً أن يأخذ . بينما الإنسان غير العفيف قد يطالب ما لا يستحقه ، وكأنه حوَّ قد سلبه منه من يعطى . وحينما يُعطى قد يستقل ما يأخذه ، فيرجعه أو يطلب بأكثر .

من أمثلة هؤلاء من يطالب الله بحقوق !!

وكالابن الضال الذى طلب من أبيه نصيبه فى الميراث (لو ١٥) .

الفهرست

صفحة

٥ مقدمة
	<u>من ثمار الروح :</u>
٧ ١ - المحبة
١٣ ٢ - الفرح
٢١ ٣ - السلام
٢٩ وفى السلام الداخلى الإطمئنان وعدم الخوف
٣٥ ٤ - طول الأناة
٣٥ أ - عند الله
٤١ ب - عند البشر
٤٧ ٥ - اللطف
٥٥ ٦ - الصلاح
٦٣ ٧ - الإيمان
٧١ ٨ - الوداعة
٨٠ هل تتنافى الوداعة مع الشجاعة والشهامة
٨٧ ٩ - التعنف

الكتاب المقبل :

سوف يصدر فى خلال أسبوعين إن شاء الله كتاب :

قانون الإيمان

فوائد الكتاب

بسم الأب والإبن والروح القدس

الإله الواحد أمين

تقرأ في هذا الكتاب عن تسع
امثال هي ثمر للروح ...

ثمر لروحك الإيمانية في
شركتها مع الروح القدس .

أو هي ثمر للروح القدس العامل
فيك ، مع استجابك لعمله ...

وهذه الثمار التسعة هي :

- | | | |
|---------|-------|------|
| محبة | فرح | سلام |
| طول لنة | لطف | |
| صلاح | إيمان | |
| وداعة | نطق | |

كل ثمرة منها ، تقودك إلى
زمناتها ، وبشرك الكل معاً .

اسأل نفسك : ماذا يفتقدك من
هذه الثمار ، لكي تدرّب نفسك على
اقتنائه . وليكن الرب معك .

الهبأ شهوده تثالث